سلسلة رسائل وكتب علماء نجد الأعلام - ٥ -

سؤال وجواب في أهم المهمات

تأليف

العالم العلامة الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي التميمي النجدي الحنبلي
١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ
رحمه الله تعالى

اعتنى بنشرها وتحقيقها وتخريج أحاديثها
الفقير إلى ربه القدير
عبد السلام بن برجس بن ناصر العبد الكريم

دار العاصمة
الرياض

سُؤالٌ وَجَوابٌ في أَهَمِّ المُهِمّاتِ

حُقوق النشر محفوظة

النشرة الثالثة ١٤٠٨هـ

دار العاصمة
الرياض - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١ - هاتف ٤٩١٥١٥٤

سلسلة رسائل وكتب علماء نجد الأعلام - ٥ -

سؤال وجواب في أهم المهمات

تأليف

العالم العلامة الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي التميمي النجدي الحنبلي
١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ
رحمه الله تعالى

اعتنى بنشرها وتحقيقها وتخريج أحاديثها
الفقير إلى ربه القدير
عبد السلام بن برجس بن ناصر العبد الكريم

دار العاصمة
الرياض

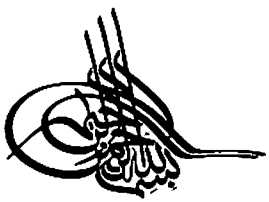

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمدُ للّهِ وكفى، والصلاة والسلام على عبدِه المجتبى، ورسولِه المصطفى، وعلى آلِه وأصحابِه ومن تبعهم من أهلِ التقى.

أما بعد:

فقد وَجَدَت هذه الرسالةُ الصغيرة الحجمِ، الوفيرة الفائدةِ والعلمِ قبولاً من جميعِ طبقاتِ الناسِ علماءَ وطلبةِ علمٍ وعامةٍ. وهذا راجعٌ إلى عِدَّةِ أمورٍ:

الأول: أهميةُ موضوعِ الرسالةِ. فإنها عالجت أهمَّ موضوعٍ في الشرعِ وأعظمَه وأشرَفه ألا وهو توحيدُ اللّهِ بجميعِ أنواعِه ـ الربوبيةِ والإلهيةِ والأسماءِ والصفاتِ ـ.

الثاني: تمتعُ الرسالةِ بأسلوبِ عرضٍ جيدٍ فائقٍ يتناسبُ مع جميعِ طبقاتِ الطلبةِ فهو يصوغُ المرادَ على طريقةِ سؤالٍ وجوابٍ. وهذا من أنفعِ الوسائلِ لتقريب العلمِ إلى الأذهانِ، ولهذا كان رسولُ الله ﷺ يستخدِمه أحياناً.

الثالث: ما حازه راقمُ هذه الرسالةِ الشيخُ عبدُ الرحمٰنِ بن سعدي من مكانةٍ عاليةٍ، وشهرةٍ ذائعةٍ في الخافقين شَوَّقَتِ الناسَ لمطالعةِ كتبِه وقراءَتها وتلقُّفِها بِشَغَفٍ وَنَهَمٍ.

ومن الدلائل على ذلك مطالبةُ كثيرٍ من الناسِ ـ داخل المملكة وخارجها ـ بإعادةِ طبعِ هذه الرسالةِ.

واستجابةً لهذا النداءِ العزيزِ نقدّمُ للقاريءِ الكريمِ هذه الدرةَ النفيسةَ في ثوبِها الثاني سائلين اللّهَ تعالى أن ينفَعَنا وإياهم بها، وأن يجعَلَها في ميزانِ حسناتِنا يومَ القيامةِ إنه وَليُّ ذلك والقادرُ عليه.

تنبيه:

استشرتُ شيخَنا العلامةَ المحققَ الجليلَ النبيلَ محمد الصالحَ العثيمين ـ حفظه الله تعالى وأمَدّ في عمرِه على طاعتِه ـ في ضَمِّ سؤالينِ أجابَ عنهما العلامةُ الشيخُ عبدُ الرحمٰن بن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في مجموعِ فتاويه إلى هذِه الرسالةِ لكون موضوعِ السؤالين يتناسبُ مع موضوعِ الرسالةِ. فَرَغّبَ في هذه الفكرةِ وأشادَ بها.

وقد جعلتُ السؤالين وجوابَهما في آخر الرسالةِ ولم أجعلْ لهما رقماً تسلسلياً كباقي الأسئلةِ إعلاماً بأنهما ليسا من وَضْعِ المؤلفِ. فليعلم هذا وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه

الفقير إلى ربه القدير

عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم

الرياض ٢٦ / ١٢ / ١٤٠٧ / هـ

ترجمة موجزة للمؤلف

١ ـ نسبه ومولده ونشأته:

هو العالم العلامة الجليل المحقق المدقق النبيل أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي التميمي النجدي الحنبلي.

ولد في مدينة عنيزة سنة سبع وثلاثمائة وألف (١٣٠٧) من هجرة المصطفى ﷺ. توفيت أمه وعمره أربع سنين وتوفي والده وعمره سبع سنين فعاش الشيخ يتيم الأبوين، فقام أخوه الأكبر حمد بن ناصر ـ وكان رجلاً صالحاً من حملة القرآن ـ بتربيته ورعايته خير قيام. وكانت ملامح الخير والصلاح والنبوغ والذكاء تظهر في وجه المترجم له فاعتنى به أخوه عناية فائقة فأدخله في مدرسة الشيخ ابن دامغ فحفظ فيها القرآن الكريم عن ظهر قلب وهو يافع.

٢ ـ طلبه للعلم ومشايخه:

شرع الشيخ في طلب العلم في سن مبكّر ولازم العلماء ملازمة

الظل لصاحبه فقرأ في علم الحديث ومصطلحه والفقه وأصوله والتفسير على كل من الشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر قاضي عنيزة ومحمد بن عبدالكريم الشبل وصعب التويجري وصالح القاضي كما قرأ علوم العربية على كل من الشيخ محمد أمين شنقيطي وصالح العثمان القاضي ومحمد بن عبدالعزيز المانع وعبدالله بن عائض. واجازه في الحديث الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى وعلي بن ناصر أبو وادي.

٣ ـ طريقة تدريسه، وطلبته:

انتهى إليه الإفتاء والتدريس في عنيزة سنة ١٣٥١ بعد وفاة شيخه الشيخ صالح القاضي وكان المترجم له حسن التعليم له طريقة مثلى فيه إذ إنه كان يجمع الطلبة على كتاب واحد في الجلسة وبعد الفراغ من الجلسة يطلب من ثلاثة منهم إعادة ما استحضروه من شرحه الذي ألقاه عليهم وقصده بذلك شدّ انتباههم واختبار قوة حافظتهم وسرعة فهمهم وكان يعطي الجوائز الثمينة على حفظ المتون وكان يناقش الطلبة فيما مضى من دروس وكان يقيم بينهم المناظرات ويشاورهم في الكتب التي يريدون قراءتها عليه.

لذلك تخرج عليه علماء أجلاء من أبرزهم الشيخ محمد الصالح العثيمين وعبدالله بن عبدالرحمن البسام وعبدالعزيز بن محمد السلمان وعلي الحمد الصالحي وغيرهم.

٤ ـ صفاته:

كان رحمه الله ذا أخلاق فاضلة وآداب سامية وبسمة دائمة ودعابة مرحة وفصاحة باهرة ونظرات ناطقة وأقلام ساحرة سريع البدهة مرهف الإحساس كثير البكاء والصلاة والصيام.

وكان متوسط القامة نحيف الجسم أبيض اللون مستدير الوجه كثيف اللحية.

٥ ـ مؤلفاته:

بلغت مؤلفاته نيّفاً وثلاثين مؤلفاً من أبرزها:

١ ـ تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن.

٢ ـ المختارات الجلية.

٣ ـ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من نونية ابن القيم.

٤ ـ توضيح الكافية الشافية لابن القيم.

٥ ـ خلاصة التفسير.

٦ ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن.

٧ ـ مجموعة فتاوى.

٨ ـ سؤال وجواب في أهم المهمات وهو هذا[1].

---

(١) وقد شرعت في تخريج أحاديثه والتليق عليه يسّر الله إتمامه.

٦ ـ وفاته:

وافاه الأجل المحتوم في يوم الخميس الموافق ٢٣ جمادى الآخر عـام ١٣٧٦ هـ عن تسع وستين سنـة قضـاهـا في العلم والتعليم والإفتاء والتأليف وانصدع الناس لموته وحزنوا حزناً شـديداً ورثى بمراثي كثيرة[٢].

الرياض ٩/ ٧/ ١٤٠٦ هـ

كتبه راجي عفو ربه

عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم

---

(١) طبع هذا الكتاب الطبعـة الأولى في حياة المؤلف في مـطبعة دمشق سنـة ١٣٧٣ هـ وفيها تحريفات وتصحيفات تلافيناها في هذه الطبعة. كما قمنا بعزو الآيات إلى السور وتخريج الأحاديث باختصار شديد والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل.

تنبيه [المراد بالأصل الطبعة الأولى].

(٢) مصادر الترجمة:

* روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين للقاضي.
* علماء نجد لابن بسام.
* رسائل عن حياة الشيخ لبعض تلاميذه.

سلسلة رسائل وكتب علماء نجد الأعلام - ٥ -

سؤال وجواب في أهم المهمات

تأليف

العالم العلامة الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي التميمي النجدي الحنبلي
١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ
رحمه الله تعالى

اعتنى بنشرها وتحقيقها وتخريج أحاديثها
الفقير إلى ربه القدير
عبد السلام بن برجس بن ناصر العبد الكريم

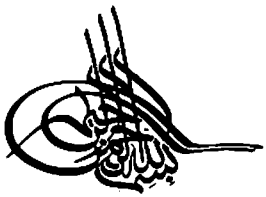

الحمد لله على ما لهُ من الأسماءِ الحسنى، والصفاتِ الكاملةِ، والنعمِ السابغةِ، وأصلي على محمدٍ المبعوثِ لصلاحِ الدينِ والدنيا والآخرةِ.

أما بعدُ فهذه رسالةٌ مختصرةٌ احتوت على أهمِ المهماتِ من أمورِ الدينِ وأصولِ الإيمان تدعو الحاجةُ والضرورةُ إلى معرفتها جعلتُها[1] على وجهِ السؤالِ والجوابِ لأنه أقربُ إلى الفهمِ والتفهيمِ وأوضحُ في التعلُّم والتعليمِ.

* * *

السؤال الأول: ما حدُّ التوحيدِ وما أقسامهُ؟

الجوابُ: حَدُّ التوحيدِ الجامعُ لكلِ أنواعِه هو علمُ العبدِ واعتقادُه واعترافُه وإيمانُه بتفردِ الربِّ بكل صفةِ كمالِ وتوحُّده في ذلك واعتقادُ أنه لا شريكَ لهُ ولا مثيلَ لهُ في كمالِهِ وأنَّه ذو الألوهيةِ والعبوديةِ على خلقِه أجمعين ثم إفرادُه بأنواعِ العبادةِ فَدَخَلَ في هذا التعريفِ أقسامُ التوحيدِ الثلاثة.

أحدها (توحيدُ الربوبيةِ) وهو: الاعترافُ بانفرادِ الربِّ بالخلقِ والرزقِ والتدبير والتربيةِ.

الثاني: (توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ): وهو إثباتُ جميعِ ما اثبته الله لنفسهِ أو أثبته له رسولُه محمدٌ ﷺ من الأسماءِ الحسنى وما دلت عليه من الصفاتِ من غيرِ تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ومن غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ.

الثالثُ: (توحيدُ العبادةِ) وهو: إفرادُ الله وحدَهَ بأجناسِ العبادات

---

(١) في الأصل (جلتها) وهو خطأ.

وأنواعِها وإفرادُها وأخلاصُها لله من غيرِ إشراكٍ به[1] في شيءٍ منها فهذه أقسامُ التوحيدِ التي لا يكونُ العبدُ موحِّداً حتى يلتزمَ بها كلِّها ويقومَ بها.

* * *

السؤال الثاني: ما هو الإيمانُ والإسلامُ وأصولُهما الكليةُ؟.

الجوابُ: الإيمانُ هو التصديقُ الجازمُ بجميعِ ما أمر الله ورسولُه بالتصديقِ به المتضمنُ للعملِ الذي هو الإسلامُ وهو الاستسلام لله وحده والانقيادُ لطاعتِه.

وأما أصولُهما فهي ما احتوتْ عليه هذه الآيةُ الكريمةُ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة - ١٣٦]. وما فسره به النبيُّ ﷺ في حديثِ جبريلَ وغيرِه حيثُ قال: (الإيمانُ أن تؤمنَ بالله وملائِكتِه وكتبِه ورسُلِه واليومِ الآخرِ والقدرِ خيرِه وشرِّه، والإسلامُ أن تشهد أن لا إلَه إلا الله وأن محمداً رسولُ الله وتقيمَ الصلاةَ وتؤتي الزكاةَ وتصومَ رمضانَ وتحجَّ البيت)[2] ففسَّر الإيمانَ بعقائِد القلوب وفسرَ الإسلامَ بالقيامِ بالشرائِع الظاهرةِ.

---

(١) في الأصل (يد).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - ١/ ٣٦ من حديث عمر بن الخطاب. وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان - ١/ ٢٧، ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - ١/ ٣٩ كلاهما من حديث أبي هريرة.

السؤال الثالث: ما هي أركانُ الإيمانِ باسماءِ الله وصفاتِه؟.

الجواب: هي ثلاثةُ إيمانٌ بالأسماء الحسنى كلِّها وإيمانٌ بما دلت عليه من الصفاتِ وإيمانٌ بأحكامِ صفاتِه ومتعلقاتِها فنؤمنُ بأنه عليمٌ لهُ العلمُ الكاملُ المحيطُ بكلِّ شيءٍ وأنهُ قديرٌ ذو قدرةٍ عظيمةٍ يقدرُ بها على كلِّ شيءٍ وأنهُ رحيمٌ رحمان ذو رحمةٍ واسعةٍ يرحمُ بها من يشاءُ وهكذا بقيةُ الأسماءِ الحسنى والصفاتِ ومتعلقاتِها.

* * *

السؤال الرابع: ما قولُكم في مسألة علوِّ الله على الخلقِ واستوائِه على العرشِ؟.

الجواب: نعرفُ ربَّنا بأنهُ عليٌّ أَعْلىَ بكلِّ معنىً واعتبار علوّ الذاتِ وعلُوِّ القدرِ والصفاتِ وعلوِّ القهرِ وأنه بائنٌ من خلقِه مستوٍ على عرشِه كما وصَفَ لنا نفسَه بذلك والإستواءُ معلومٌ والكيفُ مجهولٌ فقَدْ أخبرنا أنه استوى ولم يخبرنا عن الكيفيَةِ وكذلك نقول في جميعِ صفاتِ الباري أنه أخبرنا بها ولم يخبرْنا عن كيفيتِها فعليْنا أن نؤمنَ بكلِّ ما أخبرنا في كتابِهِ وعلى لسانِ رسُولِه ﷺ ولا نزيد على ذلك ولا ننقصَ منهُ.

* * *

السؤال الخامس: ما قولُكم في الرحمةِ والنزولِ إلى السماءِ الدنيا ونحوِها؟.

الجوابُ: نؤمن ونقرُ بكلِّ ما وصفَ الله به نفسَه من الرحمةِ والرضى والنزولِ والمجيءِ وبما وصفَه به الرسولُ ﷺ على وجهٍ لا يماثلُهُ فيه أحدٌ من خلقِه فإنه ليس كمثله شيء فكما أن لله ذاتاً لا تُشبِهُهَا

الذواتُ فله تعالى صِفاتٌ لا تشبِهُها الصفاتُ وبرهانُ ذلك ما ثبت من التفصيلاتِ العظيمةِ في الكتابِ والسنةِ في اثباتها والثناءِ على الله بها وما وردَ على وجهِ العمومِ في تنزيهِهِ عن المثل والنّدِ والكفوِ والشريكِ.

* * *

السؤال السادس: ما قولُكم في كلام الله وفي القرآن؟.

الجوابُ: نقول القرآنُ كلامُ الله منزلٌ غيرُ مخلوقٍ منهُ بدا وإليه يعودُ والله المُتَكَلِّمُ به حقّاً لفظُهُ ومعانيه ولم يزلْ ولا يزالُ مُتكلِّماً بما شاءَ إذا شاءَ وكلامُه لا ينفدُ ولا له منتهى.

* * *

السؤال السابع: ما هو الإيمانُ المطلقُ وهل يزيدُ وينقصُ؟.

الجوابُ: الإيمانُ اسمٌ جامعٌ لعقائِدِ القلبِ وأعمالِه وأعمالِ الجوارِح وأقوالِ اللِّسانِ فجميعُ الدينِ أصُولُه وفروعُه داخلٌ في الإيمانِ ويَترَتَّبُ على ذلك أنّه يزيدُ بقوَّةِ الاعتقادِ وكثرتِه وحُسنِ الأعمالِ والأقوالِ وكثرتِها وينقصُ بضدِّ ذلك.

* * *

السؤال الثامن: ما حكمُ الفاسِقِ الملِّي؟.

الجوابُ: منْ كان مؤمناً موحداً وهو مصرٌ على المعاصي فهو مؤمنٌ بما معهُ من الإيمانِ فاسقٌ بما تركه من واجباتِ الإيمان ناقصُ الإيمانِ مستحقٌ للوعدِ بإيمانِه وللوعيدِ بمعاصيه ومعَ ذلك لا يخلَّدُ في النارِ فالإيمانُ المطلقُ التامُ يمنعُ من دخولِ النارِ والإيمانُ

الناقصُ يمنعُ من الخلودِ فيها.

* * *

السؤال التاسع: كم مراتبُ المؤمنين وما هي؟.

الجوابُ: المؤمنونَ ثلاثةُ أقسامٍ سابقونَ إلى الخيراتِ وهمُ: الذين قامُوا بالواجباتِ والمستحبَّاتِ وتركوا المحرّمات والمكروهاتِ. ومقتصِدون وهُمُ: الذين اقتصرُوا على أداءِ الواجباتِ واجتنابِ المحرمات. وظالمونَ لأنفسهم وهمُ: الذين خلطُوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

* * *

السؤال العاشر: ما حكمُ أفعالِ العبادِ؟.

الجوابُ: أفعالُ العبادِ كلُّها من الطاعاتِ والمعاصي داخلةٌ في خلقِ الله وقضائِه وقَدَرِه ولكنَّهم هُم الفاعلونَ لها لم يجبرْهُم الله علَيها مع أنها واقعةٌ بمشِيئَتِهم وقدرتِهم فهي فعلُهم حقيقةً وهمُ الموصوفونَ بها المثابونَ والمعاقبونَ عليها وهي خلقُ الله حقيقةً فإنَّ الله خلقَهُم وخلقَ مشيئَتهُم وقدرتَهُم وجميعَ ما يقعُ بذلك فنؤمنُ بجمِيع نصوصِ الكتابِ والسنةِ الدالةِ على شمولِ خَلْقِ الله وقدرتِه لكلِ شيءٍ من الأعيانِ والأوصافِ والأفعالِ كما نؤمنُ بنصوصِ الكتابِ والسنَّةِ الدالةِ على أن العبادَ هم الفاعلونَ حقيقةً للخيرِ والشرِّ وأنهم مختارون لأفعالِهم فإنَّ الله خالقُ قدرتِهم وإرادتِهم وهما السببُ في وجود أفعالِهم وأقوالِهم وخالقُ السببِ التامِ خالقٌ للمسَّبب والله أعظمُ وأعدلُ من أنْ يُجْبرَهُمْ عليها.

السؤال الحادي عشر: ما هو الشركُ وما أقسامُه؟.

الجوابُ: الشركُ نوعان شركٌ في الربوبية وهوَ: أن يعتقِدَ العبدُ أنَّ لله شريكاً في خلقِ بعضِ المخلوقاتِ أو تدبيرِها. النوعُ الثاني الشركُ في العبادةِ وهو قسمان: شركٌ أكبرُ وشركٌ أصغرُ فالشركُ الأكبرُ أن يصرفَ العبدُ نوعاً من أنواعِ العبادةِ لغيرِ الله كأنْ يدعوَ غيرَ الله أو يرجوَهُ أو يخافَهُ فهذا مخرجٌ من الدينِ وصاحبُهُ مُخَلَّدٌ في النارِ. وأما الشركُ الأصغرُ فالوسائلُ والطرقُ المفضيةُ إلى الشركِ إذا لم تبلغْ رتبةَ العبادةِ كالحلفِ بغيرِ الله والرياءِ ونحوِ ذلك.

* * *

السؤال الثاني عشر: ما صفةُ الإيمانِ بالله على وجهِ التفصيل؟.

الجوابُ: إنَّنا نقرُّ ونعترفُ بقلوبِنا وألسنَتِنا أنَّ الله واجبُ الوجودِ واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ متفردٌ بكلِّ صفَةِ كمالٍ ومجدٍ وعظمةٍ وكبرياءٍ وجلالٍ وأنَّ لهُ غايةَ الكمالِ الذي لا يقدرُ الخلائقُ أنْ يُحيطُوا بشيءٍ من صفاتِه وأنَّه الأولُ الذي ليسَ قبلَهَ شيءٌ والآخرُ الذي ليسَ بعدَهُ شيءٌ والظاهرُ الذي ليسَ فوقَهُ شيءٌ والباطنُ الذي ليسَ دونَهُ شيءٌ وأنَهُ العليُّ الأعلى علوَّ الذَّاتِ وعلوَّ القدرِ وعلوَّ القهرِ وأنَّهُ العليمُ بكلِّ شيءٍ القديرُ على كلِّ شيءٍ السميعُ لجميع الأصواتِ باختلافِ اللغاتِ على تَفَنُّنِ الحاجاتِ البصيرُ بكلِّ شيءٍ الحكيمُ في خلقِه وشرعِه الحميدُ في أوصافِه وأفعالِه المجيدُ في عظمتِه وكبريائِه الرحمنُ الرحيمُ الذي وسعت رحمتُه كلَّ شيءٍ وعمَّ بجودِه وبرِّه ومواهِبِه كلَّ موجودٍ المالك الملك لجميع الممالك فلهُ تعالى صفةُ

الملكِ، والعـالَمُ العلويُّ والسفليُّ كلُهم ممـاليـك وعبيـد الله ولـه التصـرفُ المطلقُ وهـو الحيُّ الذي لـه الحياةُ الكـاملةُ المتضمِنَـةُ لجميعِ أوصافِه الذاتيةِ القَيّومُ الذي قامَ بنفسِه وبغيرِه وهـو متصفٌ لجميعِ صفاتِ الأفعالِ فهو الفعالُ لما يريدُ فما شاءَ كانَ وما لمْ يشأ لم يكنْ ونشهدُ أنَّهُ ربُّنا الخالقُ الباريءُ المصورُ الذي أوجدَ الكائناتِ وأتقن صنْعَها وأحسنَ نِظامها وأنَّه الله الذي لا إلَه إلا هوَ الإلَهُ المعبودُ الذي لا يستحقُّ العبادةَ أحدٌ سواهُ فلا نخضعُ ولا نذلُّ ولا نُنِيْبُ ولا نتوجَّهُ إلاَّ لله الواحدِ القهارِ العزيزِ الغفارِ فإياهُ نعبدُ وإياه نستعين ولهُ نرجو ونخشى نرجُو رحمتَهُ ونخشى عدْلَـهُ وعذَابَـهُ لا ربَّ لنا غيـرهُ فنسألُه وندْعُوه ولا إلهَ لنا سواه نُؤمِّلُه ونرجُوه هو مولانا في إصلاح ديننا ودنيانا وهو نِعمَ النصيرُ الدافعُ عنّا جميعَ السوءِ والمكارِهِ.

* * *

السؤال الثـالث عشر: مـا صفـةُ الإيمـانِ بـالأنبيـاءِ على وجـهِ التفصيل؟.

الجوابُ: علينا أن نؤمنَ بجميعِ الأنبياء والـرسل الـذين ثبتت نُبوتُهم ورسالتُهم على وجهِ الإجمالِ والتفصيلِ ونعتقدُ أن الله تعالى اختصَّهم بوحيِهِ وإرسالِه وجعلهم وسائطَ بينه وبين خلقِه في تبليغِ دينِه وشرعِه وأيَّدهم بالآيات الدالة على صدقِهم وصحةِ ما جاؤا به وأنهم أكملُ الخلقِ علماً وعملاً وأصدقُهم وأبرُّهم وأكملُهم أخلاقاً وأعمالاً وأنَّ الله خصَّهم بفضائلَ لا يلحقُهم فيها أحدٌ وبرّأهم من كلِّ خُلُقٍ رذيلٍ وأنهم معصومونَ في كلِّ ما يبلغونَه عن الله وأنهُ لا يستقِرُّ

في خبرِهم وتبلِيغهم إلا الحقُ والصوابُ وأنَّه يجبُ الإيمانُ بهم كلِّهم وبكلِّ ما أتوهُ[1] من الله ومحبَّتُهم وتوقيرهُم وتعظيمُهم ونؤمن أنَّ هذه الأمورَ واجبةٌ علينا لنبيِّنا محمدٍ ﷺ على أكملِ الوجوهِ وأعلاها وأنَّهُ يجبُ معرفتُه ومعرفةُ ما جاءَ به من الشرعِ جملةً وتفصيلاً بحسَبِ الإستطاعةِ والإيمانُ بذلك والتزامُه والتزامُ طاعتِه في كلِّ شيءٍ بتصديقِ خبرِه وامتثالِ امرِه واجتنابِ نهيهِ وأنَّه خاتَمُ النبيين لا نبيَّ بعدَهُ قد نَسختْ شريعتُه جميعَ الشرائعِ وهي باقيةٌ إلى قيامِ الساعةِ ولا يتمُّ الإيمانُ به حتَّى يعلمَ العبدُ أنَّ جميعَ ما جاءَ بهِ حقٌّ وأنهُ يستحيلُ أن يقومَ دليلٌ عقليٌ وحسيٌ أو غيرُهما على خلافِ ما جاءَ بهِ بل العقلُ الصحيحُ والأمورُ الحسيةُ الواقعةُ تشهدُ للرسولِ بالصِدقِ والحقِّ.

* * *

السؤال الرابع عشر: كم مراتبُ الإيمانِ بالقضاء والقدرِ وما هيَ؟.

الجوابُ: مراتبُ ذلكَ أربعةٌ لا يتمُّ الإيمانُ بالقدرِ إلا بتكميلها، الإيمانُ بأن الله[2] بكلِّ شيءٍ عليمٌ وأنَّ علمَهُ محيطٌ بالحوادِثِ دقِيقِها وجليلِها وأنه كتَبَ ذلك باللَّوحِ المحفوظِ[3] وأن جميعها واقعةٌ بمشيئتِه وقدرتِه ما شاء[4] كانَ وما لمْ يشأ لمْ يكنْ وأنهُ معَ ذلكَ مكّنَ

---

(١) لعلها (ما أتوا به من الله).

(٢) في الأصل (بأنه) وما أثبته أوضح والله أعلم.

(٣) في الأصل (المخفوظ) وهو خطأ.

(٤) في الأصل (ما يشاء كان..).

العبادَ من أفعالِهِمْ فيفعلونها اختياراً منهم بمشيئتِهم وقدرتهم كما قالَ الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ﴾ [الحج ـ ٧٠]، وقال: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير ـ ٢٨ ـ ٢٩].

* * *

السؤال الخامس عشر: ما حدُّ الإيمانِ باليومِ الآخر وما الذي يدخل فيه؟.

الجوابُ: كلُّ ما جاءَ في الكتابِ والسنّةِ مما يكونُ بعدَ الموتِ فإنَه داخلٌ في الإيمانِ باليومِ الآخر كأحوال القبر والبرزخ ونعيمه وعذابِهِ وأحوالِ يومِ القيَامةِ وما فيها من الحسابِ والثوابِ والعقابِ والصحفِ والميزانِ والشفاعةِ وأحوالِ الجنةِ والنارِ وصفاتِها وصفاتِ أهلها وما أعدَّ الله فيهما لأهلِهما إجمالاً وتفصيلاً كلُّ ذلكَ من الإيمانِ باليومِ الآخرِ.

* * *

السؤال السادس عشر: ما هو النفاق وأقسامُه وصفتُه؟.

الجوابُ: حَدُّ النفاقِ إظهارُ الخيرِ وإبطان[1] الشرِّ وهو قسمان: نفاقٌ أكبرُ اعتقاديٌّ مخلدٌ صاحِبُه في النارِ وذلكَ مثلُ ما أخبرَ الله بهِ عن المنافِقِينَ في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة ـ ٨] من المُبْطنين للكفرِ المظهرينَ

(١) في الأصل (ابطال).

للإسلامِ ونفاقٌ أصغر عمليٌّ مثلُ ما ذكره النبيُّ ﷺ في قوله: (آيةُ المنافقِ ثلاثٌ إذا حدثَ كذبَ وإذا وعد أخلفَ وإذا ائتُمِنَ خانَ)[1] فالكفرُ الأكبرُ والنفاقُ لا ينفعُ معه إيمانٌ ولا عملٌ وأما الأصغرُ منهما فقد يجتمعُ معَ الإيمانِ فيكونُ في العبدِ خيرٌ وشرٌ وأسبابُ ثوابٍ وأسبابُ عقابٍ.

* * *

السؤال السابع عشر: ما هي البدعةُ وما أقسامُها؟.

الجوابُ: البدعةُ هي خلافُ السنَّةِ وهي نوعان بدعةُ اعتقادٍ وهي اعتقادُ خلافِ ما أخبَر الله به ورسُولُه وهي المذكورةُ في قولِهِ ﷺ: (وستفترقُ أمتي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً كلُّها في النارِ إلا واحدةً، قالوا: ما هي يا رسولَ الله؟ قالَ: من كانَ على مثلِ ما أنا عليه اليومَ وأصحابي)[2] فمن كان على هذا الوصفِ فهو صاحبُ سنةٍ محضةٍ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٨٩ ـ ٥/ ٢٨٩ ـ ٣٧٥ ـ ١٠/ ٥٠٧، ومسلم في صحيحه ١/ ٧٨ كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٣٢، وأبو داود في سننه ـ كتاب السنة ـ ٥/ ٤، والترمذي في سننه ـ كتاب الإيمان ـ ٥/ ٢٥، وابن ماجه في سننه ـ كتاب الفتن ـ ٢/ ١٣٢١، وابن حبان في صحيحه ـ كما في الموارد ـ ص ٤٥٤، والآجري في الشريعة ص ١٥، ومحمد بن نصر في السنة ص ١٧ ـ ١٨، والحاكم في مستدركه ١/ ٦ و ١٢٨، والاسفرائيني في الفرق بين الفرق ص ٤ و ٥. جميعهم من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ.... الحديث بدون قوله: (كلها في النار إلا واحدة و.... من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي...). =

ومن كانَ من بقيةِ الفرقِ فهو مبتدعٌ وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ وتتفاوت البدعُ بحسبِ بعدِها عن السنةِ.

والنوعُ الثاني بدعةٌ عمليةٌ وهي التعبُّدُ بغير ما شرعَ الله ورسولُه أو تحريمُ ما أحلَّ الله ورسولُه فمن تعبَّدَ بغيرِ الشرعِ أو حرّمَ ما لم

= وإسناده حسن رجاله ثقات سوى محمد بن عمرو بن علقمة قال الذهبي في الميزان ٣/ ٦٧٣: ـ شيخ مشهور، حسن الحديث، مكثر عن ابي سلمة بن عبدالرحمن، وقد أخرج له الشيخان متابعة ا. هـ.

والحديث قال عنه الترمذي: «حسن صحيح» وصححه الحاكم وابن حبان وقد روى هذا الحديث عن جماعة من الصحابة انظر المقاصد الحسنة للسخاوي (ص ١٥٨) ونظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني (ص ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤).

وأما زيادة: (كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة) فقد ثبتت من حديث معاوية رضي الله عنه عند الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٠٢، وأبي داود ـ في سننه كتاب السنة ـ ٥/ ٥ والآجري في الشريعة ص ١٨، والحاكم في مستدركه ١/ ١٢٨ وغيرهم وقال الحاكم عقب هذا الحديث: ـ هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث وأقره الذهبي. وصححه الشاطبي في الاعتصام.

ووردت هذه الزيادة من حديث انس عند الإمام أحمد ٣/ ١٢٠ والآجري في الشريعة ص ١٦ و ١٧.

ووردت أيضاً عن سعد بن أبي وقاص عند الآجري في الشريعة ١٧ ـ ١٨.

وأما زيادة: (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي اليوم) فقد أخرجها الآجري في الشريعة ص ١٥ ـ ١٦. عن عبدالله بن عمرو، والطبراني في الصغير ١/ ٢٥٦ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

يحرِّمْه الشارعُ فهو مبتدعٌ.

* * *

السؤال الثامن عشر: ما حقوقُ المسلمينَ عليك؟.

الجوابُ: قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات ـ ١٠] فالواجبُ أن تَتَّخِذَهمْ إخواناً تحبُّ لهم ما تحبُّ لنفسِكَ وتكرهُ لهم ما تكرهُ لنفسكَ وتسعى بحسبِ مقدورِكَ في مصالحِهم وإصلاح ذاتِ بينِهم وتأليف قلوبهم واجتماعهم على الحق، المسلمُ أخو المسلم لا يظلِمُهُ ولا يخذُلُهُ ولا يكذِبُهُ ولا يحْقِرُهُ وتقومُ بحقّ من لهُ حقٌّ خاصٌّ كالوالدينِ والأقاربِ والجيرانِ والأصحابِ والمعاملينَ.

* * *

السؤال التاسع عشر: ما الواجبُ نحوَ أصحابِ النبيِّ ﷺ؟.

الجوابُ: من تمام الإيمانِ برسُولِ الله ﷺ ومحبَّتِه محبةُ أصحابِهِ بحسبِ مراتبِهم[1] من الفضلِ والسَّبْقِ، والاعترافُ بفضائلِهم التي فاقوا فيها جميعَ الأمّةِ، وأنْ تدينَ الله بحبهمْ ونشرِ فضائلِهم، وتُمْسكَ عمّا شجرَ بينهم ونعتَقدَ أنَّهم أولى الأمَّةِ بكلِّ خصلةٍ حميدةٍ وأسبقَهُم إلى كلِّ خيرٍ وأبعدَهم من كلِّ شرٍ وأنهمُ جميعُهم عدولٌ مرَضيونَ.

---

(١) في الأصل (مراتهم) وهو خطأ.

السؤال العشرون: ما قولُكم في الإمامَةِ؟.

الجوابُ: نعتقدُ أنَّ نَصْبَ الإمامِ فرضُ كفايةٍ فإن الأمةَ لا تسْتَغني عن إمامٍ يُقيمُ لها دينَها ودُنياها ويدفعُ عنها عاديةَ المعتدين وإقامةُ الحدودِ على الجناةِ، ولا تتم إمامتُه إلا بطاعتِهِ في المعروفِ في غيرِ معصيةٍ والجهادُ ماضٍ مع البرِّ والفاجرِ ويعانُون على الخيرِ ويُنصحُونَ عن الشرِّ.

* * *

السؤال الحادي والعشرون: ما هو الصراطُ المستقيمُ وما صفتُهُ؟.

الجوابُ: الصراطُ المستقيمُ هو العلمُ النافعُ والعملُ الصالحُ والعلمُ النافعُ هو ما جاءَ به الرسولُ من الكتابِ والسنَّةِ، والعملُ الصالحُ هو التَّقربُ إلى الله بالاعتقاداتِ الصحيحَة، وأداء الفرائضِ والنوافلِ، واجتنابِ المنهياتِ وهو القيامُ بحقوقِ الله وحقُوقِ عبادِهِ، ولا يتمُ ذلك إلَّا بالاخلاصِ التامِّ لله والمتابعةِ لرسُول الله ﷺ والدينُ يدورُ على هذينِ الأصلينِ فمن فاته الإخلاصُ وقع في الشركِ ومن فاتتْه المتابعةُ وقعَ في البدَعِ.

* * *

السؤال الثاني والعشرون: ما هي الأوصافُ التي يتميزُ بها المؤمنُ عن الكافرِ والجاحِدِ؟.

الجوابُ: هذا سؤالٌ عظيمٌ. بالفرق بين المؤمنِ وغيرِه يتميزُ

الحقُ والباطلُ وأهلُ السعادةِ من أهلِ الشقاوةِ، فاعلمْ أن المؤمنَ حقاً هو الذي آمنَ بالله وبأسمائِه وصفاتِه الواردةِ في الكتابِ والسُّنَّةِ على وجهِ الفهمِ لها والاعترافِ بها وتنْزيهِهِ عما يُنافي ذلك، فامْتلأ قلبُهُ إيماناً وعلماً ويقيناً وطمأنينَةً وتعلُّقاً بالله فأنابَ إلى الله وحدَهُ وتعبَّدَ لله بالعباداتِ التي شرعَها على لسانِ نبيه ﷺ مخلصاً لله بها راجياً لثوابِهِ خائفاً من عقابِهِ شاكراً لله بقلبِهِ ولسانِهِ وجوارحِهِ على نعَمِ الله وإحسانِهِ العظيمِ الذي يتقلبُ به في جميعِ الساعاتِ لاهجاً بذكره، لا يرى نعمةً أعظمَ من هذه النعمةِ ولا كرامةً أعظمَ منها يهزأ بلذَّاتِ الدُّنيا الماديةِ إذا نُسبَتْ إلى لذةِ الإنابةِ إلى الله والإقبالِ عليه وحَدَهُ، ومع هذا فقَدْ أخذَ نصيباً وافراً من لذَّاتِ الحياةِ وتمتَّعَ بها لا على الوجهِ الذي يتمتَّعُ به الجاحِدونَ أو الغافلون بل تمتَّعَ بها عَلَى وجه الإستعانةِ بها على القيامِ بحقوقِ الله وحقوقِ عبادِهِ وبذلك الاحتسابِ والرجاءِ تمتْ بها لذاتُهُ واستراحَ قلبُهُ واطمأنَّ ولم يحزنْ إذا جاءته الأمورُ على خلافِ ما يحبُّ، فهذا قد جمَعَ الله له بين سعادةِ الدُّنْيا والآخِرة. أما الجاحدُ والغافلُ فهو على خلافِ ذلك قد جَحَدَ ربَّه العظيمَ الذي قامتْ البراهينُ العقليةُ والنقليةُ والعلومُ الضروريةُ والحسيةُ على وجودِه وكمالِه فلم يعبأ بذلك كلِّه فلما انقَطَعَ عن الله اعترافاً وتعبداً تَعَلَّقَ بالطبيعَةِ فعبدَها وصارَ قلبُهُ شبيهاً بقلوبِ البهائم السائمةِ ليسَ لهُ هِمَّةٌ إلا التمتعُ بالأمورِ الماديةِ وقلبُهُ دائماً غيرُ مُطمَئنٍ بل خائفٌ من فواتِ محبوباته وخائفٌ من حصُولِ المكارهِ التي تنتابُهُ وليسَ معهُ من الإيمانِ ما يسهّلُ عليه المصيباتِ وما يخفف عنهُ النكباتِ قد حُرمَ لذةَ الإيمانِ وحلاوةَ

التقرُّبِ إلى الله وثمراتِ الإيمانِ العاجلةَ والآجِلةَ لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً وإنما خوفُهُ ورجاؤه متعلقٌ بمطالِب النفوسِ الدنيوية الخسيسةِ المادّيةِ.

ومن أوصافِ المؤمنِ التواضعُ للحقِّ وللخلقِ والنصيحَةُ لعبادِ الله على اختلافِ مراتبهم قولاً وفعلاً ونيةً، والجاحِدُ وصفُه التكبرُ على الحقِّ وعلى الخلقِ والإعجابُ بالنفسِ لا يدينُ بالنصيحَةِ لاحدٍ، المؤمنُ سليمُ القلبِ من الغشِّ والغلِّ والحقدِ يحبُّ للمسلمين ما يحبُّ لِنفْسِه ويكرَهُ لهم ما يكرهُ لنفسِه ويسعى بحسَب وِسْعه في مصالحهم ويتحملُ أذى الخلقِ ولا يَظلِمُهم بوجهٍ من الوجوه، والجاحِدُ قلبُهُ يغلي بالغلِّ والحقْدِ ولا يريدُ لأحدٍ خيراً ولا نفعاً إلا إذا كان لهُ في ذلك غرضٌ دنيويٌ ولا يبالي بظلمِ الخلْقِ عندَ قدرتِه وهو أضعفُ شيءٍ عن تحملِ ما يصيبُهُ منهم، المؤمن صدوقُ اللِّسانِ حَسنُ المعاملةِ وصفهُ الحلمُ والوقارُ والسكينةُ والرحمةُ والصبرُ والوفاءُ وسهولةُ الجانب ولينُ العريكةِ، والجاحدُ وصفهُ الطيشُ والقسوةُ والجزعُ والهلعُ والكذبُ وعدمُ الوفاءِ وشراسةُ الأخلاق.

المؤمنُ لا يذلُّ إلا لله قد صانَ قلبَهُ ووجهَهُ عن بذلِه وتذلِّلِه لغيرِ ربِّه وصفهُ العِفّةُ والقوةُ والشجاعةُ والسخاءُ والمروءةُ لا يختارُ إلا كلَّ طيبٍ، أما الجاحِدُ فعلى الضِدِّ من ذلك قد تعلَّق قلبُهُ بالمخلوقينَ خوفاً من ضررِهم ورجاءً لِنَفعِهم وبذلَ لهم ماءَ وجهِهِ وليسَ لهُ عِفّةٌ ولا قوةٌ ولا شجاعةٌ إلا في أغراضِهِ السُفليَّةِ عادمُ المروءةِ والإنسانيةِ لا يُبالي بما حَصلَ لَهُ من طيّبٍ أو خبيث، المؤمنُ قد جمع بين

السَّعي في فعلِ الأسبابِ النافِعَةِ والتوكلِّ على الله والثقَةِ به وطلبِ العون منهُ في كلِّ الأمور والله تعالى في عونهِ، وأما الجاحدُ فليسَ عنده من التوكلِ خبرٌ وليس لهُ نظرٌ إلا إلى نفسِه الضعيفةِ المَهينةِ قد ولَّاهُ الله ما تولى لِنَفسهِ وخذلهُ عن إعانتهِ على مطالِبهِ فإنْ قُدِّر لهُ ما يحبُّ كانَ استدراجاً.

المؤمنُ إذا أتتهُ النعمُ تلقاها بالشُّكرِ وصرفَها فيما ينفَعُهُ ويعودُ عليه بالخير وغيرُ المؤمنِ يتلقاها بأشرٍ وبطرٍ واشتغالٍ بالنعْمَةِ عن المنعِمِ وعن شُكرِه ويصرِفُها في أغراضِه السُّفليةِ وهي مع هذا سريعٌ زوالُها قريبٌ انفصالُها، المؤمنُ إذا أصابتهُ المصائبُ قابلَها بالصبرِ والاحتسابِ وارتقابِ الأجرِ والثوابِ والطمعِ في زوالها فيكونُ ما عُوّضَ من الخيرِ والثوابِ أعظمَ مما[1] فاته من محبوبٍ أو حصل لهُ من مكروهٍ، والجاحدُ يتلقاها بهلعٍ وجزعٍ فتزدادُ مصيبتُهُ ويجتمعُ عليه ألمُ الظاهرِ وألمُ القلبِ قد عُدمَ الصبرَ وليسَ لهُ رجاءٌ في الأجرِ فما أشدَّ حسرتَهُ وأعظمَ حزنَهُ، المؤمنُ يدينُ الله بالإيمان بجميعِ الرسلِ وتعظيمهم وتقديمِ محبتهم على محبةِ الخلق كُلِهم ويعترفُ أنَّ كلَّ خيرٍ ينالُ[2] الخلقَ إلى يوم القيامةِ فعلى أيديهم وبإرشادهم وكلَّ شرٍ وضررٍ ينالُ الخلقَ فسببُهُ مخالفتهم فهم أعظمُ الخلقِ إحساناً إلى الخلقِ وخصوصاً إمامُهم وخاتِمُهم محمدٌ ﷺ الذي جعلهُ الله رحمةً للعالمينَ وبعثهُ لكلِّ صلاحٍ وإصلاحٍ وهدايةٍ.

---

(١) في الأصل (فما).

(٢) في الأصل (منه) وهو خطأ.

وأما الملحدونَ فبضدّ ذلك يعظمونَ أعداءَ الرسُلِ ويحترمونَ أقوالهم ويهزؤن كأسلافهِم بما جاءت به الرُّسُلُ وذلك أكبرُ دليلٍ على سخافة عقولِهم وهبوطِ أخلاقهم إلى أسفلِ سافلين، المؤمنُ يدينُ الله بمَحبةِ الصحابةِ وأئمةِ المسلمينَ وأئمة الهدى، والملحدُ بالعكس، المؤمنُ لكمالِ إخلاصِه لله يعملُ لله ويحسنُ إلى عبادِ الله، والجاحدُ ليس لعملهِ غايةٌ إلا تحصيلُ أغراضِهِ الخسيسةِ، المؤمنُ مُنشرحُ الصدرِ بالعلمِ النافعِ والإيمانِ الصحيحِ والإقبال على الله واللّهَجِ بذكرهِ والإحسانِ إلى الخلقِ وسلامةِ الصدر من الأوصافِ الذميمةِ، والجاحدُ الغافلُ ضدّ[1] ذلك لفقدِه الأسبابِ الموجبةِ لانشراحِ الصدر.

فإذا قيل إذا كانَ الإيمانُ الصحيحُ كما وصفْتَ مع اختصاركَ واقتصاركَ وأنَّ به السعادةَ العاجِلَةَ والآجِلةَ وأنَّهُ يُصْلِحُ الظاهرَ والباطنَ والعقائدَ والأخلاقَ والآدابَ وأنَّهُ يدعو البشرَ كلَّهم إلى كلِّ خيرٍ وصلاحٍ ويهدي للَّتي هي أقومُ فإذا كان الأمرُ كما ذكرتَ فَلِمَ كان أكثرُ البشرِ عن الدينِ والإيمانِ معرضين ولهُ محاربينَ ومنه ساخرين وهلاّ كان الأمرُ بالعَكسِ لأنَّ الناسَ لهُم عقولٌ وأذهانٌ تختارُ الصالحَ على الفاسد والخيرَ على الشرِّ والنافعَ على الضّارِ.

فالجواب: أنَّ هذا الإيرادَ قد ذَكَرَهُ الله في كتابِه وأجابَ عنهُ بذكرِ الأسبابِ الواقعَةِ المانِعَةِ وبالموانِع العائقَةِ وبذكرِ الأجوبةِ عن هذا الإيراد لا يهُول العبدُ ما يراهُ من إعراضِ أكثرِ البشرِ عنه ولا يستغربُ

---

(١) في الأصل (دينه).

ذلك. فأقولُ قد ذكرَ الله لعدَم الإيمانِ بالدين الإسلامي موانعَ عديدةً واقعةً من جمهورِ البشرِ منها الجهلُ به وعدمُ معرفتهِ حقيقةً وعدمُ الوقوفِ على تعاليمِه العاليةِ وإرشاداتِه الساميةِ والجهلُ بالعلوم النافعة أكبرُ عائقٍ وأعظمُ مانعٍ من الوصول إلى الحقائق الصحيحةِ والأخلاقِ الجميلة قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس - ٣٩] فأخبرنا أن تكذيبهم صادرٌ عن جهلِهِمْ وعدمِ احاطتهم بعلمهِ وأنه لمْ يأتهم تأويلهُ الذي هو وقوعُ العذابِ الذي يوجبُ للعبدِ الرجوعَ إلى الحقِ والاعتراف به ويقولُ تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام - ١١١]، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام - ٣٧]، ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة - ١٧١]، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم - ٢٤]، إلى غير ذلك من النصوصِ الدالةِ على هذا المعنى والجهلُ إما أن يكونَ بسيطاً كحال كثيرٍ من دهماء المكذبين للرسولِ الرادينَ لدعوته اتباعاً لرؤسائهم وساداتِهم وهم الذينَ يقولونَ إذا مسَّهم العذابُ ربنا ﴿ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴾ [الأحزاب - ٦٧] وإما أن يكونَ الجهلُ مركباً وهذا على نوعين أحدُهما أن يكونَ على دينِ قومِه وآبائِه ومن هو ناشيءٌ معهم فيأتيه الحقُّ فلا ينظرُ فيه وإن نظَر فنظرٌ قاصرٌ جداً لرضاه بدينه الذي نشأ عليه وتعصّبهِ لقومِه وهؤلاء جمهورُ المكذبينَ للرُسُلِ الرادينَ لدعوتهم الذين قال الله فيهم ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا

عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف- ٢٣]، وهذا هو التقليدُ الأعمى الذي يظنُّ صاحبُهُ أنهُ على حقٍ وهو على الباطِلِ ويدخلُ في هذا النوْعِ أكثرُ الملحدينَ الماديينَ فإن علومَهُم عند التحقيقِ تقليدٌ لزعمائِهِمْ إذا قالوال مقالةً قبلوها كأنها وحيٌ منزلٌ وإذ ابتكروا نظريةً خاطئةً سلكوا خلفهُم في حالِ إتْفاقهمْ وحالِ تناقضِهم وهؤلاءِ فتنةٌ لكلّ مفتونٍ لا بصيرةَ لهُ النوعُ الثاني من الجهلِ المركَّبِ حالةُ أئمةِ الكفرِ وزعماءِ الملحدينَ الذين مهرُوا في علومِ الطبيعةِ والكونِ واستجهلوا غيرَهم وحصروا المعلوماتِ في معارفِهم الضئيلةِ ضيقة الدائرة واستكبروا على الرُسُلِ وأتباعهم وزعموا أنَّ العلومَ محصورةٌ فيما وصلتْ إليه الحواسُّ الإنسانيةُ والتجاربُ البشريةِ وما سوى ذلك انكروهُ وكذبوهُ مهما كان من الحقِ فأنكروا ربَّ العالمين وكذبوا رُسُله وكذّبوا بما أخبرَ الله به ورسُولهِ من أمورِ الغيبِ كلِّها وهؤلاءِ أحقُّ النَّاسِ بالدُّخولِ تحتَ قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر- ٨٣]، ففرحُهم بعلومِهم علومِ الطبيعةِ ومهارتُهم فيها هو السَّببُ الأقوى الذي أوجَبَ لهم تمسُّكَهم بما معهم من الباطِلِ وفرحُهم بها يقتضي تفضيلَهم لها ومدْحَهمْ لها وتقديمها على ما جاءتْ به الرُسُلُ من الهدى والعلمِ بل لم يكفِهم هذه الحالُ حتى وصلوا إلى الاستهزاء بعلومِ الرسلِ واستهجانها وسيحيق بهم ما كانوا به يستهزؤنَ ولقد انخدع لهؤلاءِ الملحدينَ كثيرٌ من المشتغلين بالعلومِ العصريةِ التي لم يصحبها دينٌ صحيحٌ والعهدةُ في ذلك

على المدارسِ التي لم تهتمَّ بالتعاليمِ الدينيَّةِ العاصمةِ من هذا الإلحادِ فإنَّ التلميذَ إذا خرج منها لم يمهر في العلومِ الدينيةِ ولا تخلّق بالأخلاقِ الشرعيةِ ورأى نفسَه أنه يعرفُ ما لا يعرفه غيرُه احتقرَ الدينَ وأهلهُ وسَهُل عليهِ الانقيادُ لهؤلاءِ الملحدينَ الماديين وهذا أكبرُ ضررٍ ضُربَ به الدينُ الإسلاميُّ فالواجبُ قبلَ كلِّ شيءٍ على المسلمينَ نحوَ المدارسِ أن يكونَ اهتمامُهم بتعليمِ العلومِ الدينيةِ قبل كلِّ شيءٍ وأن يكونَ النجاحُ وعدمُه متعلقاً بها لا بغيرِها بل يُجعلُ غيرُها تبعاً وهذا من أفرضِ الفرائضِ على من يتولاها ويباشِرُ تدبيرَها وعلى الأساتذةِ المعلمينَ فيها ومستقبلُ الشبيبةِ متوقفٌ على هذا الأمر فليتق الله من له ولايةٌ أو كلامٌ عليها وليحتسبَ الأجر العظيم عندالله في جَعلِ الدين أهمَّ العلوم المدرسية فإن الخَطَر كبيرٌ مع الإهمالِ والصلاحُ والخيرُ مضمونٌ مع العنايةِ في علوم الدينِ ومن موانِع الدين والإيمانِ الحسدُ والبغي كحالِ اليهودِ الذين يعرفُون النبيَّ ﷺ وصدقَه وحقيقةَ ما جاءَ به كما يعرفونَ أبناءهم ويكتمون الحقَّ وهم يعلمونَ، تقديماً للأغراضِ الدنيويةِ والمطالبِ السُفليةِ على الإيمان وقد منع هذا الداء كثيراً من رؤساءِ قريشٍ كما هو معروفٌ من أخبارِهم وسيرِهم وهذا الداءُ ناشيءٌ عنِ الكِبرِ الذي هو أعظمُ الموانعِ من اتباعِ الحقِ قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف ـ ١٤٦]، فالتكبرُ الذي هو ردُّ الحقِّ واحتقارُ الخلقِ منَعَ خلقاً كثيراً من اتباعِ الحق والانقيادِ له بعدَ ما ظهرَتْ آياتُه وبراهينُه قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِـدِينَ ﴾ [النمل - ١٤].

ومن موانع الإيمان الإعراضُ عن الأدلَّةِ السمْعيَةِ والأدلَّةِ العقليةِ الصحيحةِ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف - ٣٦ و ٣٧] وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك - ١٠]، فلمْ يكن لأمثالِ هؤلاء الذين اعترفوا بعدم عَقلهمْ وسمعهمْ النافع رغبةٌ في عُلوم الرسلِ والكتب المنزلة من الله ولا عقولٌ صحيحةٌ يهتدون بها إلى الصواب وإنما لهم آراءٌ ونظريّاتٌ خاطئةٌ يظنُّونها عقليـاتٍ وهي جهالاتٌ ولهم اقتداءٌ خلفَ زعماءِ الضلالِ منعهم من اتبـاع الحق حتى وردوا نارَ جهنم فبئس مثوى المُتكبرين.

ومن موانعِ اتباع الحق ردُّهُ بعد ما تبينَ فيعاقبُ العبدُ بانقلاب قلبهِ ورؤيتهُ الحسن قبيحاً والقبيح حسناً. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[الصف - ٥]، ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام - ١١٠]، وهذا لأنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ وقد ولاهم الله ما قالوا[1] لانفُسِهم ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف - ٣٠].

---

(١) في الأصل (قولوا).

ومن الموانع الإنغماسُ في الترفِ والإسرافُ في التَّنعُمِ فإنهُ يجعلُ العبدَ تابعاً لهَواه منقاداً للشهواتِ الضارةِ كما ذكرَ الله هذا المانِعَ في عِدَّة آياتٍ مثل قوله: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾ [الأنبياء ـ ٤٤]، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ [الواقعة ـ ٤٥]، فلما جاءتهُم الأديانُ الصحيحةُ بما يعدلُ ترفَهم ويوقفهم على الحدّ النافِع ويمنعَهم من الإنهماكِ الضارِ في اللذاتِ رأوا ذلك صاداً لهم عن مؤاداتهم وصاحبُ الهوى الباطل ينْصرُ هواه بكلِّ وسيلةٍ لما جاءهم الدينُ بوجوبِ عبادةِ الله وشُكرِ المنعمِ على نعمِه وعدمِ الإنهماكِ في الشهواتِ ولّوا على أدْبارهم نفوراً.

ومن الموانِع احتقارُ المكذبينَ للرسُل وأتباعِهم واعتقاد نقصِهم والتهكمُ بهم كما قال قومُ نوح: ﴿ نُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء ـ ١١١] ﴿ مَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ [هود ـ ٢٧] وهذا منشؤهُ من الكبر فإذا تكبّر وتعاظمَ في نفسِه واحتقرَ غيرَهُ اشمئز من قبولِ ما جاء به من الحق حتى لو فُرض أن هذا الذي ردّهُ جاءَه من طريقِ من يعظمهُ لقبلَه بلا تردُّدْ وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس ـ ٣٣] فالفسقُ وهو خروجُ العبدِ عن طاعةِ الله إلى طاعةِ الشيطانِ وكونُ القلب على هذا الوصفِ الخبيثِ أكبرُ مانع من قبولِ الحقّ علماً وعملاً والله تعالى لا

يزكي من هذه حالُه بل يكِلُه[1] إلى نفسهِ الظالمةِ فتجُولُ في الباطلِ عناداً وضلالاً وتكونُ حركاتُه كلُّها شراً وفساداً فالفِسْقُ يَقرنهُ بالباطِلِ ويصدُّه عن الحقِّ لأن القلبَ متى خرجَ عن الانقيادِ لله والخضوعِ فلا بُدَّ أنْ ينقادَ لكلّ ﴿ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[الحج ـ٣ـ٤]ومن أكبرِموانعِ اتباع الحقِّ والإيمانِ حصرُ العلومِ والحقائقِ في دائرةٍ ضيقةٍ كما فعل مَلاحِدةُ الماديِّين في حصرِهِمُ العلومَ بمدركاتِ[2] الحِسّ فما ادركُوهُ بحواسِّهمُ أثبتوهُ وما لم يدركُوه بها نفوهُ ولو ثَبَتَ بطُرقٍ وبراهين أعظمُ بكثيرٍ وأوْضَحُ وأجْلى من مدركات الحسّ وهذه فتنةٌ وشبهةٌ ضلَّ بها خلقٌ كثيرٌ وهذه الطريقةُ الخبيثةُ أنكروا بها[3] وجودَ الربِّ وكفروا بالرسُلِ وبما اخبروهم به من أمورِ الغيبِ التي قامت الأدلةُ والبراهينُ المتنوعَةُ على صدْقِها بل قامت الأدلةُ المشاهدةُ على حقِّها ومن المعلومِ بالضرورةِ والعلمِ اليقينيِ أن البراهينَ على وجودَ الباري ووحدانيَتِهُ وانفرادِه بالخلقِ والتدبير لا يمكن أن يساويَها أو يقاربَها شيءٌ من الطرقِ المثْبِتَةِ لأي حقيقةٍ تكونُ، فقد قامت الأدلةُ السمْعِيَّةُ والعقليةُ والعَيَانِيَّةُ والفطريةُ على ذلك وقد أظهَرَ من آياتهِ فى الافاق وفي الأنفسِ ما تبينَ به الحقُّ وإنّهُ حقٌّ ورسله حقٌّ وجزاؤهُ حقٌّ وجميع أخبارِه حقٌّ ودينُهُ حقٌّ فماذا بعدَ الحقِّ إلا الضلالُ ولكن تمرَّدُ المادِيِّينَ وكِبْرُهُم حالَ بيْنَهُمْ وبينَ الحقِ النافِعِ الذي لا ينفعُ غيرَهُ

(١) في الأصل (لا يكله..).
(٢) في الأصل (ومدركات..).
(٣) في الأصل (انكروا وجود..).

بدونِه بوجهٍ من الوجوهِ والمؤمنُ البصيرُ يعرفُ بنورِ بصيرتِه أنهم في ضلالٍ مبين وعمىً متراكِم ونحمدُ الله على نعمةِ الهدايةِ.

ومن الموانعِ تجرد الماديّينَ ومن[1] تبِعَهُمْ من المغرُورينَ وزعمُهُم أنَّ البشرَ لَم يبلغوا الرُّشدَ ونضوجَ العقلِ إلا في هذه الأوقاتِ التي طغتْ فيها المادةُ وعلومُ الطبيعةِ وأنهم قبلَ ذلك لم يبلغوا الرُّشدَ وهذا فيه من الجراءةِ والاقدامِ على السَّفْسَطَةِ والمُكابرةِ للحقائق والمباهَتَةِ ما لا يخفى على من لهُ أدنى معقول لم تغيرهُ الآراءُ الخبيثةُ فلو قالوا إنَّ المادةَ والصناعةَ والاختراعاتِ وتطويعَ الأمُورِ الطبيعِةِ لم تنْضُجْ وتتمَّ إلا في الوقتِ الاخيرِ لصَدَّقهُمْ كلُّ واحدٍ وأما تعريفهم على هذا وتجريهمْ وتعديهمْ إياهُ إلى العلومِ الصحيحةِ والحقائقِ الثابتةِ والاخلاقِ الجميلةِ فقضية من أكذب القضايا فإنَّ العقولَ والعلومَ الصحيحةَ إنما تعرفُ ويستدلُ على كمالها أو نقصها بآثارِها وبأدلتها وغاياتها انظُر إلى الكمالِ والعلوِ في العقائدِ والاخلاقِ والدينِ والدنيا والرحمةِ والحكمةِ التي جاء بها محمدٌ ﷺ وأخذها عنه المسلمونَ وأوصَلَتْهم وقت عملِهم بها إلى كلِ خيرٍ ديني ودنيوي وكلِ صلاحٍ وأخضعَتْ لهم جميعَ الامم وأنهم وصلوا إلى حالةٍ وكمالٍ يستحيلُ أن يصلَ إليه أحدٌ حتى يسلك طريقَهم ثم انظر إلى ما وصلت إليه أخلاقُ الماديينَ الإباحيين الذين أطلقوا السراحَ لشهواتِهم ولم يقفوا عند حدٍ حتى هبطوا بذلك إلى أسفل سافلين ولولا القوةُ الماديةُ تَمْسُكُهمْ بعضَ التماسُكِ لأرْدَتْهم هذه الإباحيةِ والفوضى في الهلاك العاجلِ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ

(١) في الأصل (وما).

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم - ٤٢] ثم لولا بقايا من آدابِ الاديانِ بقيت بعضَ آثارها في الشعوب الراقية صلحتْ بها دنياهم لم يكن لرقيهم المادي[1] قيمةٌ عاجلةٌ فإن الذينَ فقدوا الدين عجزوا كلَّ العجزِ عن الحياةِ الطيبة والراحةِ الحاضرةِ والسعادةِ العاجلةِ والمشاهدةُ أقوى شاهدٍ لذلك ومشركوا العربِ ونحوُهُم ممن عندهم بعضُ الإيمانِ وبعضُ الاعترافِ بالأصولِ الإيمانيةِ كتوحيدِ الربوبيةِ والاعترافِ بالجزاء، خيرٌ لكثيرٍ من هؤلاء الماديين بلا ريب ولا شكٍ ثُمَّ قد عُلِم بالضرورةِ أنَّ الرُّسُلَ صلواتُ الله وسلامُه عليهم جاؤا بالوحي والهداية جملةً وتفصيلاً وبالنُّورِ والعلمِ الصحيحِ والصلاحِ المطلقِ من جميعِ الوجوهِ واعترفَتْ العقُولُ الصحيحةُ بذلك وعلمَتْ أنَّها في غايةِ الافتقارِ إليهِ وخَضَعَتْ لِمَا جاءَت به الرُّسُلُ وعلِمَتْ العقُولُ أنَّها لو اجْتَمَعَتْ من أولها إلى آخرها لَمْ تصلْ إلى درجةِ الكُتُبِ إلى الحقائقِ النافعَةِ التي جاءتْ بها الرُّسُلُ ونزلتْ بها الكتُبُ وأنَّه لولاها لكانتْ في ضلالٍ مبينٍ وعمىً عظيمٍ وشقاءٍ وهلاكٍ مستمرٍ ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران - ١٦٤].

فالعقُولُ لَمْ تَبْلغُ الرُّشدَ الصحيحَ ولم تنضِجْ إلا بما جاءتْ به الرسلُ ومن ذلك انخداعُ أكثرِ النَّاسِ بالألفاظِ التي يزوَّقُ بها الباطلُ ويردُّ بها الحقُّ من غيرِ بصيرةٍ ولا علمٍ صحيحٍ وذلك لتسْميتهِ علوم

(١) في الأصل (الماديين).

الـدينِ وأخـلاقِـه العـاليـةِ رجعيـةً وتسميتهم[1] العلومَ والأخـلاقَ الأُخـر المنافيـةَ لذلـك ثقافـةً وتجديـداً ومن المعلومِ لكلِ صـاحبِ عقلٍ صحيحٍ أنَّ كلَّ ثقافةٍ وتجديدٍ لم يستندْ في أُصولهِ إلى هداية الدينِ وإلى توجهات الدين فإنهُ شرٌ وضررٌ عاجلٌ وآجلٌ ومن تأمَّل أدنى تأمُّلٍ ما عليه مَنْ يسمون المثقفينَ الماديينَ من هبوطِ الاخلاقِ والإقبالِ على كلِ ضارٍ وتركِ كلِ نافع عرف أنَّ الثقافَةَ الصحيحةَ تثقيفُ العقولِ بهدايةِ الرسل وعلومهم الصحيحةِ وتثقيفُ الاخلاقِ تهذيبُها بالأخلاق الحميدة الجميلة والتوجيهاتِ النافعَةِ التي تشتمل على الصلاحِ المطلَق والاستعانة بعلومِ المادة الصحيحةِ على الخير والصلاحِ والنجاح فالإسلامُ يأمرُ ويحث على تحصيل السعادتين وتكميلِ الفضيلتينِ ومن تأملَ ما جاء به الدينُ الإسلامي من الكتابِ والسنَّة جملةً وتفصيلاً عرفَ أنَّه لاصلاحَ للبشرِ إلا بالرجوع إلى هدايتهِ وإرْشاده وأنَّهُ كما أصْلَحَ العقائدَ والأخلاقَ والأعمالَ فَقَدْ أصْلَحَ أُمورَ الدُّنيا وارشدَ إلى كلِ ما يعودُ إلى الخير والنفعِ العام والخاص، والله الموفقُ الهادي وصلى الله على محمد وسلَّم.

---

(١) في الأصل (سميتهم).

سـؤال عن أصول الدين الكبار

سُئِلَ عن أُصُولِ الدينِ الكِبَارِ على وجـهِ الإيجازِ والاختصـارِ، فأجاب: هذا أعظمُ سؤالٍ، وجـوابهُ أجـلُّ الأجوبـةِ، لاستدعـائِه الإتيانَ بجميعِ الأصولِ التي تبنى عليها القواعدُ الإسلاميةُ والحقائقُ الإيمانيةُ، وقَبْلَ الشروعِ في جوابِها ليعْلَمَ السائِلُ أنيّ لا يمكنُنِي أن أستوفيَ ما تستحقُّ ولا بعضَ ما تستحقُّ من البسطِ وبيانِ الأدلـةِ، ولكن مـا لا يُدْرَكُ كُلُّه،لا يُتـرك كُلُّه، فأقـولُ على وجـهِ الإشـارةِ والإيجازِ: لهذا الدينِ العظيمِ أصولٌ كثيرةٌ، ولكنَّ أكبرَها وأعظمَها هذه الأصولُ التي سننبِهُ عليها:

الأصل الأول: التوحيد

حدُّ التوحيدِ الجامعُ لأنواعِه، هو: اعتقادُ العبدِ وإيمـانُه بتفـرّدِ الرَبِّ بصفاتِ الكمالِ، وإفرادُه بأنواعِ العبـادةِ. فدخـلَ في هذا التعريفِ: توحيدُ الربـوبيةِ الـذي هو اعتقـادُ انفرادِ الـرَبِّ بالخلقِ والرزقِ، وأنواعِ التدبيرِ، وتوحيدُ الأسماءِ والصفاتِ، وهـو إثباتُ جميعِ ما أثبتَهُ لنفسِه، أو أثبتَه له رسولُه ﷺ من الأسماءِ الحسنى والصفـاتِ الكاملةِ العليـا، من غيرِ تشبيـهٍ ولا تمثيـلٍ، ومن غيـرِ تحريفٍ ولا تعطيـلٍ. وتوحيـدُ الإلهيةِ والعبـادةِ وهو إفـرادُه وحدَه

بأجناسِ العبادةِ وأنواعِها، وإفرادُها من غيرِ إشراكٍ به في شيءٍ منها مع الاعترافِ بكمالِ ألوهيتِهِ.

فدخلَ في توحيدِ الربوبيةِ: إثباتُ القضاءِ والقدرِ، وأنه ما شاءَ كان وما لم يشأْ لم يكن، وأنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنه الغنيُّ الحميدُ، وما سواه فقيرٌ إليه من كلِّ وجهٍ.

ودخلَ في توحيدِ الأسماءِ والصفاتِ: إثباتُ جميعِ معاني الأسماءِ الحسنى لله الواردة في الكتابِ والسنةِ. والإيمانُ بها ثلاثُ درجاتٍ: إيمانٌ بالأسماء، وإيمانٌ بالصفاتِ، وإيمانٌ بأحكامِ صفاتِه: كالعِلْمِ بأنه عليمٌ ذو علمٍ، ويعلمُ كلَّ شيءٍ، قديرٌ ذو قدرةٍ ويقدرُ على كلِّ شيءٍ إلى آخرِ ما لَه من الأسماءِ المقدسةِ.

ودخلَ في ذلك إثباتُ علُوِّهِ على خلقِه، واستواؤه على عرشِه، ونزولُه كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا على الوجهِ اللائقِ بعظمتِه وجلالِه.

ودخلَ في ذلك: إثباتُ الصفاتِ الذاتيةِ التي لا ينفَكُّ عنها، كالسمعِ والبصرِ والعلوِ ونحوِها. والصفاتِ الفعليةِ وهي كلُّ صفةٍ تعلَّقَت بمشيئتِهِ وقدرتِهِ: الكلامُ والخلقُ والرزقُ والرحمةُ، والاستواءُ على العرشِ، والنزولُ إلى السماءِ الدنيا كما يشاء، وأن جميعَها ثابتةٌ للّهِ من غيرِ تمثيلٍ ولا تعطيلٍ ولا تحريفٍ، وأنها كلَّها قائمةٌ بذاتِه وهو موصوفٌ بها، وأنه تعالى لم يزلْ ولا يزالُ يفعلُ ويتكلمُ، وأنه فَعّالٌ لما يريدُ، يتكلمُ بما شاءَ إذا شاءَ كيفَ يشاءُ، لم يزلْ بالكلامِ موصوفاً، وبالرحمةِ معروفاً.

ودخلَ في ذلك: الإيمانُ بأن القرآن كلامُ اللّهِ منزلٌ غيْرُ مخلوقٍ، منه بدأ وإليه يعودُ، وأنه المتكلمُ به حقاً لفظُهُ ومعانيه، وأن كلامَه لا ينفدُ ولا يبيدُ.

ودخَلَ في ذلك: الإيمانُ بأنه قريبٌ مجيبٌ، وأنه مع ذلكَ عليٌّ أعْلى، وأنه لا منافاةَ بين كمالِ قربِهِ وكمالِ علوِّه، لأنه ليس كمثلِه شيءٌ في جميعِ نعوتِه. ولا يتمُّ توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ حتى يَعْتَرِفَ ويُؤْمِنَ[1] بكلِّ ما جاءَ به الكتابُ والسنةُ، من الأسماءِ والصفاتِ والأفعالِ وأحكامِها، وعلى وجهٍ يليقُ بعظمةِ الباري. ويَعْلَم أنه كما لا يماثِلُه أحدٌ في ذاتِه، فلا يماثِلُه أحدٌ في صفاتِهِ. ومن ظَنَّ أن في بعضِ العقلياتِ ما يوجبُ تأويلَ بعضِ الصفاتِ على غيرِ معناها المعروفِ، فقد ضَلَّ ضلالاً مبيناً.

ولا يتمُّ توحيدُ الربوبيةِ حتى يعتقِدَ العبدُ أن جميعَ أفعالِ العبادِ مخلوقةٌ للّهِ تعالى، وأن مشيئَتَه تابعةٌ لمشيئةِ اللّهِ، وأن لهم قدرةً وإرادةً تقعُ بها أفعالُهم، وهي متعلَّقُ المدحِ والذمِ، والأمرِ والنهيِ، والثوابِ والعقابِ، وأنه لا يتنافى الأمرانِ: إثباتُ مشيئةِ اللّهِ العامةِ الشاملةِ للذواتِ والأفعالِ والصفاتِ، وإثباتُ قدرةِ العبدِ على أفعالِهِ وأقوالِهِ.

ولا يتمُّ توحيدُ العبادةِ حتى يُخْلِصَ العبدُ للّهِ في جميعِ إرادتِهِ وأقوالِهِ وأفعالِهِ، وحتى يدعَ الشركَ الأكبرَ المنافي للتوحيدِ كلَّ

---

(١) أي العبد.

المنافاةِ، وهو أن يصرفَ نوعاً من أنـواعِ العبادةِ لغيـرِ اللّهِ تعالى. وتحقيقُ هذاالتوحيدِ وتمامُه أن يدعَ الشركَ الأصغَرَ وهو: كلَّ وسيلةٍ يُتَوَسَّلُ بها إلى الشركِ الأكبرِ كالحلفِ بغيرِ اللّهِ ويسيرِ الرياءِ ونحوِ ذلك.

والنـاسُ في التوحيـدِ درجاتٌ متفـاوتةٌ بحسبِ مـا قامـوا به من معرفةِ اللّهِ، والقيامِ بعبوديتِهِ الظاهرةِ والباطنةِ، فأكملُهم مَنْ عرفَ تفـاصيلَ أسمـاءِ اللّهِ وصفاتِـهِ وأفعالِـه وآلائِـه، ومـا أخبـرَ بـه عن مخلوقاتِه، وعن اليومِ الآخرِ والجزاءِ الثابتـةِ في الكتابِ والسنـةِ، وَفَهِمَ معانيها فهماً صحيحاً، فامتلأ قلبُـه من معرفـةِ اللّهِ وتعظيمِـه وإجـلالِه ومحبتِـه والإنابـةِ إليه، وانجـذابِ جميـعِ دواعي قلبِـه إلى اللّه؛ متوجهاً إليه وحدَه لا شريك له، ووقعت جميعُ حركاتِـهِ وسكناتِهِ خالصةً لله تعالى لا يشوبُهـا شيءٌ من الأغراضِ الأُخـر، فاطمأنَّ إلى اللّهِ معرفَةً وإنابةً، وفعلاً وتركاً، وَكَمَّل نفسَه بالإخلاصِ والمتابعةِ، وكمَّل غيرَه بالدعوةِ إلى هذا الأصلِ.

ولا يتمُّ له هذا التوحيدُ حتى يواليَ أهلَ الإيمان والتوحيدِ، ويتبرأَ من الشـركِ والمشركينَ، ويـواليَ للّهِ، ويعاديَ للّهِ، وتصيـرَ محبتُهُ تابعةً لمحبةِ اللّهِ. فنسأل اللّهَ أن يتفضَّلَ علَينا بذلك بمنِهِ وكرمِهِ.

الأصلُ الثاني: الإيمانُ بنبوةِ جميعِ الأنبياءِ عموماً وبنبوةِ محمدٍ ﷺ خصوصاً:

وهذا الأصلُ مبناه على أن يعتَرِفَ ويعتقِدَ بأن جميعَ الأنبياءِ قد اختصَّهُم اللّهُ بوحيِهِ وإرسالِهِ، وجعلَهُم وسائطَ بينَه وبينَ خلقِه في

تبليغِ شرعِه ودينِه، وأن اللّهَ أيَّـدَهُمْ بالبراهِينِ الدالةِ على صدقِهم، وصحـةِ ما جـاؤوا به، وأنهم أكمـلُ الخلقِ علماً وعمـلاً وأصدقُهُم وأبرُّهُـمْ وأكملُهُم أخلاقـاً وأعمالاً، وأنَّ اللّهَ خصَّهُم بخصـائصَ وفضَّلَهم بفضائلَ لا يلحقُهم فيها أحدٌ، وأن اللّهَ بَرَّأهم من كلِّ خُلُقٍ دنيءٍ، وأنهم مَعْصُومُونَ في كلِّ ما يبلغونَه عن اللّهِ، وأنه لا يستقِرُّ في خبرِهم وتبليغِهم إلا الحقُّ والصوابُ، وأنه يجبُ الإيمانُ بهم، وبكل[1] ما أوتـوه من اللّهِ ومحبتُهم وتعظيمُهم، وأن هـذه الأمورَ ثابتةٌ لنبينا محمدٍ ﷺ على أكملِ الوجوهِ، وأنه يجبُ معرفةُ جميعِ ما جاءَ به من الشرعِ جملةً وتفصيلاً بحسبِ الإستـطاعةِ والإيمانُ بذلك، والتزامُه، والتزام طاعتِه في كـلِّ شيءٍ بتصديقِ خبرِه، وامتثالِ أمرِه، واجتنابِ نهيِهِ.

ومن ذلك أنه خاتمُ النبيينَ، قد نَسَخَتْ شريعتُهُ جميعَ الشرائِع، وأن نبوَّتَه وشريعَتَه باقيـةٌ إلى قيامِ الساعةِ، فلا نبيَّ بعدَه، ولا شريعةَ غيرَ شريعتِهِ في أصولِ الدينِ وفروعِهِ.

ويدخلُ في الإيمانِ بالرسل: الإيمانُ بالكتبِ، فالإيمانُ بمحمدٍ ﷺ يقتضي الإيمانَ بكلِّ مـا جاءَ بـه من الكتابِ والسنـةِ ألفاظِهـا ومعانِيها، فلا يتمُّ الإيمانُ إلا بذلك، وكلُّ من كان أعظَمَ علماً بذلك وتصديقاً واعترافاً وعملاً كان أكملَ إيماناً.

والإيمانُ بالملائكةِ مع القَدَرِ داخلٌ في هذا الأصـلِ العظيمِ، ومن تمامِ الإيمانِ به أن يُعْلَم أن ما جاءَ به حقٌّ لا يمكنُ أن يقومَ

---

(١) في الأصل «ولكل».

دليـلٌ عقليٌ أو حسيٌّ على خلافِـه، كما لا يقـومُ دليل نقليٌّ على خلافِه، فالأمورُ العقليةُ أو الحسيةُ النافعةُ تَجِدُ دلالةَ الكتابِ والسنةِ مثبتةً لها، حاثةً على فعلِها وعملِها، وغيرُ النافعِ من المذكـوراتِ ليس فيها ما ينفي وجودَها وإن كان الدليلُ الشرعيُّ ينهى ويذمُّ الأمورَ الضارةَ منها، ويدخل في الإيمان بالرسل: ـ

الأصلُ الثالثُ: الإيمانُ باليومِ الآخرِ:

فكُلُّ ما جاءَ به الكتابُ والسنةُ مما يكونُ بعدَ الموتِ، فإنه من الإيمانِ باليومِ الآخرِ، كأحوالِ البرزخِ، وأحوالِ يومِ القيامةِ، وما فيها من الحسابِ والثوابِ والعقابِ والشفاعةِ والميـزانِ والصُّحُفِ المأخوذَةِ باليمينِ والشمالِ، وأحوالِ الجنةِ والنارِ، وصفاتِ أهلِها، وأنواعِ ما أعَدَّهُ اللّهُ فيها لأهلِها، إجمالاً وتفصيلاً، وكلُّ ذلك داخلٌ في الإيمانِ باليومِ الآخرِ.

الأصلُ الرابعُ: مسألةُ الإيمانِ:

وذلك أن أهلَ السنةِ والجماعةِ يعتقدونَ ما جاءَ به الكتابُ والسنةُ من أن الإيمـانَ تصـديقُ القلبِ المتضمِنُ لأعمـالِ الجـوارحِ، فيقولون: الإيمانُ اعتقاداتُ القلوبِ وأعمالُها، وأعمالُ الجوارحِ، وأقـوالُ اللسانِ، وأنهـا كلُّها من الإيمـانِ، وأنَّ مَنْ أكمَلَها ظـاهراً وباطناً، فقـد أكملَ الإيمـانَ، ومَنْ انتقصَ شيئاً منهـا، فقد نقصَ إيمانُه.

وهذه الأمورُ بضعٌ وسبعون شعبةً أعلاها قولُ: «لا إله إلا الله»، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ.

ويرتِّبون على هـذا الأصلِ أن النـاسَ في الإيمانِ درجـاتٌ: مقربون، وأصحابُ يَمِينٍ، وظالمـونَ بحسبِ مَقَامَـاتِهِم في الدينِ والإيمانِ، وأنه يزيدُ وينقصُ، فمن فعلَ محرمـاً، أو تركَ واجبـاً، نقصَ إيمانُه الواجبُ ما لم يَتُبْ إلى اللّهِ.

ويرتِّبون على هذا الأصلِ أن الناسَ ثلاثةُ أقسامٍ: منهم من قامَ بهذِه وبحقوقِ الإيمانِ كلِّها، فهـو المؤمنُ حقاً، ومنهم من تـركها كلَّها، فهذا كافرٌ بالله ومنهم من فيه إيمانٌ وكفرٌ، وإيمـانٌ ونفاقٌ، وخيرٌ وشرٌ، ففيهِ من ولايةِ اللّهِ واستحقاقِهِ لكرامتِهِ بحسبِ ما معه من الإيمانِ، وفيه من عداوةِ اللّهِ واستحقاقِهِ لعقوبَةِ اللّهِ بحسبِ ما ضيَّعه من الإيمانِ.

ويرتِّبونَ على هذا الأصلِ أن كبائِرَ الذنوبِ وصغارَها لا تَصِـلُ بصاحِبِها إلى الكفرِ،ولكنَّها تُنْقِصُ الإيمانَ من غير أن تخـرجَه من دائِرَةِ الإسلامِ، ولا يُخَلَّدُ صاحبُها في النارِ، ولا يُطْلِقُونَ عليه اسمَ الكفـرِ، كما تقـولُه الخـوارجُ، أو يَنْفُونَ عنـه الإيمانَ كمـا تقولُـه المعتزلةُ، بل يقولون: هو مؤمنٌ بإيمانِه، فاسقٌ بكبيرتِه، فمعه مطلقُ الإيمان. أما الإيمان المطلقُ فينفى عنه؛ وهذه الأصول إذا عُرِفَتْ على وجهِها يحصلُ بها الإيمانُ بجميعِ نصوصِ الكتابِ والسنةِ.

ويترتَّبُ على هذا الأصلِ أن الإسلامَ يَجُبُّ ما قبلَه، وأن التوبة تَجُبُّ ما قبلَها، وأن من ارتَدَّ ومات على ذلكَ حَبِطَ عملُه، ومن تَابَ تابَ اللّهُ عليه.

ويرتِّبون أيضاً على هذا الأصلِ صحةَ الإستثناءِ في الإيمانِ، فيصحُ أن يقول: أنا مؤمنٌ إن شاءَ اللّهُ، لأنه يرجو من اللّهِ تكميلَ إيمانِه فيستَثْنيَ لذلك، ويرجو الثباتَ على ذلك إلى الممات، فيستثني من غيرِ شكٍ منه بحصولِ أصلِ الإيمانِ.

ويرتِّبون أيضاً على هذا الأصلِ أن الحبَّ والبغضَ أصلَه ومقدارَه تابعٌ للإيمانِ وجوداً وعدماً، وتكميلاً أو نقصاً، ثم يتبعُ ذلك الولايةُ والعداوةُ، ولهذا كان من الإيمانِ: الحبُّ في اللّهِ والبغضُ في اللّهِ والولايةُ لله والعداوةُ لله. ولا يتم الإيمان إلا بأن يحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسِه.

ويترتَّبُ على ذلك ـ أيضاً ـ محبةُ اجتماعِ المؤمنينَ، والحثُ على التآلفِ والتحابِ، وعدمِ التقاطعِ، ويبرَأُ أهلُ السنةِ والجماعةِ من التعصباتِ والتفرُّقِ والتباغُضِ، ويرون هذه القاعدةَ من أهمِّ قواعدِ الإيمانِ، ولا يرونَ الإختلافَ في المسائلِ التي لا توصلُ إلى بدعةٍ أو كفرٍ موجبةً للتفرُّقِ.

ويترتبُ على الإيمانِ: محبةُ أصحابِ النبيِ ﷺ بحسبِ مراتِبِهم، وأن لهم من السوابقِ والفضلِ والمناقبِ ما فُضِّلوا به على سائرِ الأمةِ، ويدينون بحبِّهم ونشرِ فضائِلهم، ويمسكونَ عما شجرَ

بينَهم، ويعتقدونَ أنهم أولى الأمةِ بكلِّ خصلةٍ حميدةٍ، وأسبقُهم إلى كلِّ خيرٍ، وأبْعَدُهم من كلِّ شرٍ. ويعتقدونَ أن الأمةَ لا تستغني عن إمامٍ يقيمُ لها دينَها ودنياها، ويدفعُ عنها عاديةَ المعتدينَ، ولا تتمُّ إمامتُه إلا بطاعتِه في غيرِ معصيةِ اللّهِ.

ويرون أنه لا يتمُّ الإيمانُ إلا بالأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكرِ باليدِ واللسانِ والقلبِ على حسبِ القدرةِ والإستطاعةِ، وبالجملةِ فيرون القيامَ بكلِّ أصولِ الشريعةِ على الوجهِ الشرعيِّ.

الأصلُ الخامسُ: طريقُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في العلمِ والعملِ:

وذلك أن أهلَ السنةِ والجماعةِ يَعْتَقِدُونَ ويَعْلَمونَ أنه لا طريقَ إلى اللّهِ وإلى كرامتِه إلا بالعلمِ النافعِ، والعملِ الصالحِ.

والعلمُ النافعِ: هو ما جاءَ به الرسولُ من الكتابِ والسنةِ، فيجتهدونَ في معرفةِ معانِيْها، والتَفَقُّهِ فيها أصولاً وفروعاً، ويسلِكُونَ جميعَ الطرقِ المُعِينَةِ على ذلك دلالةَ المطابقةِ، ودلالةَ التضمنِ، ودلالةَ الالتزامِ[1]، ويبذلونَ قُواهُم في إدراكِ ذلك بحسبِ ما

(١) دلالة المطابقة هي: ـ «دلالة النصِّ ـ أو اللفظ ـ على كمال ما وضع له أو تمامه» كدلالة لفظ «الخالق» على ذات الله تعالى وعلى صفة الخلق. وكدلالة الدار على جميع أجزائها.

ودلالة التضمن هي: «دلالة اللفظ على جزء المعنى الموضوع له».

كدلالة لفظ «الخالق» على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها.

ودلالة الإلتزام هي: «دلالة اللفظ على الخارج عن المعنى الموضوع له، اللازم له عقلاً».

كدلالة لفظ «الخالق» على العلم والقدرة. =

آتاهم اللّهُ، ويعتقدونَ أنّ هذه هي العلومُ النافعةُ، هي وما تَفَـرَّعَ عليها من أقيسةٍ صحيحةٍ، ومناسباتٍ حِكْميَّةٍ وكلُّ علمٍ أعانَ على ذلك وآزَرَهُ، فهو علمٌ شرعيٌّ، كما أن كلَّ علمٍ ضادَّه أو ناقَضَه، فهو باطلٌ، فهذا طريقُهم في العلمِ.

وأما طريقُهُمْ في العَمَلِ، فإنهم يتقـرَّبُونَ إلى اللّهِ بـالتصديقِ، والإعترافِ التامِّ، والإيمانِ الذي لا ريبَ فيه بعقائدِ الدينِ التي هي أصلُ العباداتِ وأساسُها، ثم يتقرَّبُونَ إليه بعدَ ذلك بأداءِ فـرائِضِهِ المتعلقةِ بحقِّ اللّهِ وحقوقِ خلقِهِ، مع الإكثَارِ من النوافِلِ، والسعيِ بالإحسانِ إلى الخلقِ بكـلِّ طريقٍ، وبتـركِ المحرّمـاتِ والمنهياتِ تعبُّداً للّهِ تعالى، ويعلمون أن اللّهَ لا يقبلُ إلا كلَّ عملٍ خـالصٍ لوجهِهِ الكريمِ مسلوكٍ فيه طريقَ النبيِ الكريمِ.

ويستعينون بالله في هذه الطرقِ النافعةِ التي هي العلمُ النافعُ، والعملُ الصالحُ الموصلُ إلى كلِّ خيرٍ وفلاحٍ وسعادةٍ عاجلةٍ وآجلةٍ.

فهذه الأُصول العظيمةُ هي أصلُ الأصولِ، احتوى عليها هـذا الجوابُ على وجهِ الإيجازِ، والإتيانِ بـالنُكتِ الحسانِ منهـا، ولو فَصّلتُ وبَسَطتُ وذكرتُ أدلّتَها لاحتاجتْ إلى شرحٍ كثيرٍ، وكتابٍ كبيرٍ، واللّهُ أعلمُ. وصلى اللّهُ على محمدٍ وآلِه وصحبِه وسلم.

* * *

= وانظر لتعريف الدلالة بأقسامها كتاب الجرجاني «التعريفات ص ١١٠» وقد مثل لأقسامها بالإنسان فقال: «فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابل العلم بالإلتزام». اهـ.

سؤال مهم

إذا كانت حقيقة العبادةِ ولبُّها مبنيةً على غايةِ الحبِّ مع غايةِ الذلِّ، وقد يوجَدُ من المخلوقِ للمخلوقِ حُبٌّ وذلٌّ، أو يوجدُ أحدُهما، فما الفرقُ بينَ ما تعلقَ بالمخلوقِ ولم يبلغْ رُتْبَةَ العبادةِ، وبينَ حقيقةِ العبادةِ المبنّيةِ على الأصلينِ المذكورينِ؟.

الجوابُ: ـ وما توفيقي إلا باللّهِ عليه توكلتُ وإليه أنيبُ ـ: إعلمْ أن هذا سؤالٌ عظيمٌ، له شأنٌ عظيمٌ، ولا يُعْرَفُ سِرُّ العبوديةِ وحقيقتُهَا، بل لا يُعْرفُ التوحيدُ كلُّه إلا بمعرفةِ الفرقِ بينَ الحبِّ والذلِّ الذي هو عبادةٌ وبينَ الحبِّ والذلِّ الذي ليس بعبادةٍ، ومعرفةُ الفرقِ بينَ الأمرينِ هو أعظمُ فُرْقَانٍ يُفْرَقُ به بينَ الأمورِ المتباينةِ والألفاظِ المتشابهةِ، والمعاني التي بينَها من الفرقِ أعظمُ مما بينَ السماءِ والأرضِ.

وبيانُ ذلكَ أن الحبَّ والذلَّ للّهِ تعالى مقرونٌ بحبِّ اللّهِ تعالى والذلِّ له الذي حقيقتُه الإنقيادُ لشرعِهِ تصديقاً لأخباره، وتقرباً إلى اللّهِ بذلك التصديقِ المشتملِ على العلمِ والمعرفةِ النافعِ للقلوبِ الموصلِ لها إلى أَجَلِّ غايةٍ، وأعظمِ مطلوبٍ، وامتثالاً لأمره، واجتناباً لنهيه تقرباً إلى اللّهِ، وطلباً لمرضاتِه ونيلِ ثوابِه العاجلِ والآجلِ، بفعلِ المأمورِ، واجتنابِ المحظورِ، فطلبُ التقرّبِ

إلى اللّهِ في ذلك هو حقيقةُ الحبِّ، بل هو ثمرةُ الحبِّ، لأن العابدَ للّهِ لمّا أحبَّ ربَّه، طلبَ السعيَ بكلِّ ما يقرِّبُه إليه ويدنِيْه منه، وذلك السعيُ والعملُ هو الإنقيادُ الذي هو ثمرةُ الذلِّ والتعظيمِ للربِّ، بل القوةُ المعنويةُ التي عَزَمَ عليها المؤمنُ وهي التزامهُ العامُّ لطاعةِ اللّهِ ورسولِه بتصديقِ الخبرِ، وطاعةِ الأمرِ، هي حقيقةُ الحبِّ والذلِّ حيث قال المؤمنون: (سمعنا وأطعنا) فكلُّ ما قاموا به من الدينِ، وما عَزَمُوا عليه، والتزمُوه منه، فإنه من آثارِ الحبِّ والذلِّ، فهذه آثارُ العبوديةِ، وثمرتُها القيامُ بالدينِ كلِّه علماً وعزماً وعملاً ونيةً.

ولا بد أن يكون هذا الحبُّ والذلُّ ناشئينِ عن معرفةٍ بأسماءِ اللّهِ وصفاتِه، وأن له كمالَ الأسماءِ، وعظيمَ الصفاتِ التي هي جميعُ صفاتِ الكمالِ ونهايةُ الجلالِ والجمالِ، وهي صفاتُ الإلهيةِ ونعوتُها، فاللّهُ هو المألوهُ ذلاً وحباً، وتوابعُ ذلك لما له من هذا الكمالِ الذي يختصُّ به، فلا يشاركُه في ذلك مشاركٌ، فجميعُ محامِدِه التي ذكرها في كتبِه، ونطقتْ بها رسُلُه، هي صفاتُ ألوهيتِهِ التي ألَهَّهُ المحبونَ المتذلِّلونَ لأجلِها وعبدُوه بسببِها، فعرفوا مالَه من العظمةِ والكبرياءِ والمجدِ والجلالِ، فخضَعُوا وذَلُّوا، ومَالَه من الجمالِ والكرمِ والرحمةِ والجودِ والإحسانِ، فامتلأتْ قلوبُهم من محبتِهِ، وفاضتْ ألسنتُهم بالثناءِ عليه، وانقادتْ جوارِحُهم طلباً لقرْبِه ورضاهُ وثوابِه، وعرفوا مَالَه من العدلِ والحكمِ ووضعِ الأشياءِ في مواضِعِها، وإيقاعِ العقوباتِ المتنوعةِ بأنواعِ المخالفينَ، فخافوا

ورهبوا وحَذرُوا من معاصيهِ، وحيثُ وقعت منهم على وجهِ الغلبةِ، بادَرُوابالتوبةِ والخروجِ من تَبِعَتِهَا، وعرفوا مَالَه من الفضلِ العظيمِ والرحمةِ السابِغَةِ، وأنواعِ الألطافِ، فاشتاقوا إلى كرمِهِ، وسَعوا لتحصيلِ ثوابِهِ وجودِهِ، وهانت عليهم المشقاتُ لَمّا عرَفُوا أنها تفضي بهم إلى أجَلِّ الكراماتِ وأفضلِ الثوابِ، وعرفوا مع ذلك أنه لا يأتي بالحسناتِ إلا هو، ولا يدفعُ السيئاتِ إلا هو، وأن جميعَ النعمِ الظاهرةِ والباطنةِ كلِّها منه، وأن كلَّ شرٍ وعقوبةٍ اندفعت عنهم فبدفعِه وحفظِه، وأنه الربُّ على الحقيقةِ، كما أنهم هم العبيدُ المماليكُ على الحقيقةِ ليس لهم من أنفسِهم إيجادٌ ولا إمدادٌ ولا إعدادٌ، يُلْهَمُ الفقراءُ إليه في جميعِ أمورِهم في خلقِهِم وخلقِ جوارِحِهم الظاهرةِ والباطنةِ، وفي رزقِهم وتدبيرِهم، وأنهم مماليكُ محضٌ، ليس لهم شيءٌ ولا منهم شيءٌ، بل كلُّ ما حصلَ لهم من منافعَ أو دفع مضارٌ، فمن اللّهِ. فلما عَرَفُوا ربَّهم، وعرفوا أنفسَهُمْ، ذَلُّوا وخضَعُوا للّهِ، واشتاقوا إلى كلِّ ما يقرِّبُهُمْ منه وما يسْتَرْحِمُونَ به إلهَهُمْ ومعبودَهُمْ في حوائِجِهِمْ المضطرينَ إليها في جميعِ اللحظاتِ، فتبيَّنَ وظهرَ أن الحبَّ والذلَّ الذي هو عبوديةٌ للّهِ، وتألُّهَهُ له لا يشابهه غيره، ولا يلتبس بسواه وأسبابه وموجباته، فإنه حبٌّ وذلٌّ اقترنَ بالقيامِ بالدينِ بحسبِ حالِ صاحِبِهِ، واقترنَ بمعرفةِ اللّهِ ومالَه من النعوتِ العظيمةِ التي اختصَّ بها وتوحَّد بها، واقترنَ بمعرفةِ العبدِ بنفسِه، وأنه عبدٌ مملوكٌ مضطرٌّ غايةَ الضَّرورَةِإلى عبودِيّةِ ربِّه، وإلى تألُّهِهِ لشدَّةِ ضرورتِه وتوقُّفِ سعادتِه على ذلك ولكونه مستحقاً

عليه لازماً له من حيثُ إنه عبدٌ مملوكٌ مأمورٌ منهي، فكما أن المعبودَ المألوهَ ليس كمثلِه شيءٌ في جميعِ أوصافِه وكمالِهِ فالعبادةُ المتعلقةُ به لا يشبِهُهَا شَيءٌ، ولهذا كُلَّما قوِيَت هذه الأمورُ في العبدِ كان أكملَ لتوحيدِه، وأبلغَ في عبوديتِه للّهِ، فتمامُ التوحيدِ بتمامِ الإخلاصِ للّهِ في الاعتقاد والقولِ والعملِ، وبتمامِ معرفتِه للّهِ تعالى إجمالاً وتفصيلاً، وتأصيلاً وتفريعاً، وكُلَّما ضعفت منه هذه الأمورُ، ضعُفَ توحيدُه. ولهذا كان الشركُ في الربوبيَّةِ والشركُ في الإلهيَّةِ، والشركُ في العبوديَّةِ، والشركُ في أسماءِ اللّهِ وصفاتِه وأفعالِه، منافياً كلَّ المنافاةِ للعبوديةِ التي هي غايةُ الحبِّ مع غايةِ الذلِّ، لأن من زَعَمَ أن للّهِ شريكاً في ربوبيته وتدبيرِه، أوْلَهُ سَمِيٌّ أو مثيلٌ في صفاتِ كمالِه، فقد أشركَ بربوبية اللّهِ، وساوى غيرَ اللّهِ باللّهِ، بل ساوى المخلوقَ بالخالِقِ، والمُعَبَّد المدبَّرَ، بالربِّ المدبِّرِ، ونفى خصائِصَ ألوهيةِ اللّهِ تعالى التي حقيقَتُها تفرُّدُه بجميعِ الكمالِ. ومن أشركَ في عبوديته وإخلاصِه، بأن صرفَ نوعاً من عبوديته لغيرِ اللّهِ تعالى، فقد نَقَضَ توحيدَه، وأفسدَ دينَه الذي هو الإخلاصُ المحضُ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾(الزمر: ٣) فأيُّ حبٍّ وأيُّ ذلٍّ يشتَبِه بهذا أو يقارِبُه؟ إلا حبٌّ وذلٌّ هو عبوديةٌ لغيرِ اللّهِ، وشركٌ به، وهي المحبةُ الشركيةُ الصادرةُ من المشركينَ التي مضمونُها تسويةُ آلهتِهم بربِ العالمينَ في الذلِّ والتعظيمِ والحبِّ، ولهذا يقولون في وسطِ جهنَّمَ معترفينَ بشركِهم نادمينَ أَشَدَّ النَّدَمِ شاهِدينَ بغايةِ ضلالهم ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم

بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء - ٩٧ و ٩٨) ومع أن هذا شرك في توحيدِهم، فإنهم لا يساوون المؤمنينَ في حبِّهم وتعظيمِهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة - ١٦٥) فظَهَرَ ببيانِ حقيقَةِ العبوديةِ الفرقُ العظيمُ بينَ حبِّ العبادةِ وتعظيمِها والحبِّ الطبيعيِّ وتوابِعِهِ. والحبُّ الطبيعيُّ تابعٌ لبعضِ مرادِ النفسِ والشهواتِ المتباينةِ التي تبقى ببقاءِ ذلك المرادِ، وتزولُ بزوالِه. وأما الذلُّ الطبيعيُّ فهو ناشىءٌ عن خوفٍ من عقوبةِ مخلوقٍ لا يملكُ لنفسِه ولا لغيرِه مثقالَ ذرةٍ، وقد يَجْتَمِعُ الأمرانِ في تعلُّقِهِمَا بالمخلوقِ، فَيُحِبُّ غيرَه ويعظِّمُه ويذِلُّ له، لما يرى له عليه من حقِ أُبُوَّةٍ أو إحسانٍ أو نحوِهما، وذلك الحبُّ والذلُّ تابعٌ لذلك الحقِ الذي فعلهما لأجلِهِ مع علمِهِأن المعظَّمَ المَحْبُوبَ لَه مخلوقٌ مثلُه، ناقصٌ مثلُه، فقيرٌ مثلُه في جميعِ أحوالِه، وأنه لا يملكُ له نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً؛ وأما حبُّه لأولياءِ اللّهِ وأصفيائِه، فهو حبٌّ تابعٌ لحبِهِ للّهِ، لأنه لما رأى محبةَ محبوبِه لهم لِمَا قاموا به من مراضِيه أحبَّهم للّهِ، ولهذا تَقْوى هذه المحبةُ بسببِ قوةِ العبوديةِ والتوحيدِ.

فنسألك اللهم حبَّك، وحُبَّ مَنْ يحبُّكَ، وحُبَّ العملِ الذي يبلِّغنا إلى حبِّك، ونعوذ بوجهك الكريمِ أَن نشركَ مخلوقاً في الحبِّ مَعَك، وأن نساويَه فيك في شيء من الأمور التي اختصصتَ بها،

وانفردتَ باستحقاقِها. ونسألك اللهم أن تجعل جميعَ ما أحببناه من قوةٍ وصحةٍ وعافيةٍ وأهلٍ ومالٍ وولدٍ وأصحابٍ وغيرِهم مُعيناً لنا على مَحَابِّكَ، ومقوياً على طاعتك، وأن ترزقنا من الإخلاص الكاملِ ما يأتي على ذلك أجمع ، بأن تجعل نياتِنا وسَعْيَنَا في عباداتِنا وعاداتِنا طريقاً لنا إلى الوصول إليك، وأن تعيذنا من شرور أنفسِنا، وسيئاتِ أعمالِنا، إنك جواد كريم.

الفهـــرس

مقدمة الطبعة الثالثة ٥
ترجمة المؤلف ٧
السؤال الأول: ما حد التوحيد وأقسامه؟ ١٣
السؤال الثاني: ما هو الإسلام والإيمان وأصولهما الكلية؟ ١٤
السؤال الثالث: ما هي أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته؟ ١٥
السؤال الرابع: ما قولكم في مسألة علو الله على الخلق واستوائه على العرش؟ ١٥
السؤال الخامس: ما قولكم في الرحمة والنزول إلى السماء الدنيا ونحوها؟ ١٥
السؤال السادس: ما قولكم في كلام الله والقرآن؟ ١٦
السؤال السابع: ما هو الإيمان المطلق وهل يزيد وينقص؟ ١٦
السؤال الثامن: ما حكم الفاسق الملي؟ ١٦
السؤال التاسع: كم مراتب المؤمنين وما هي؟ ١٧
السؤال العاشر: ما حكم أفعال العباد؟ ١٧
السؤال الحادي عشر: ما هو الشرك وما أقسامه؟ ١٨
السؤال الثاني عشر: ما صفة الإيمان بالله على وجه التفصيل؟ ١٨
السؤال الثالث عشر: ما صفة الإيمان بالأنبياء على وجه التفصيل؟ .. ١٩
السؤال الرابع عشر: كم مراتب الإيمان بالقضاء والقدر وما هي؟ ... ٢٠
السؤال الخامس عشر: ما حد الإيمان باليوم الآخر وما الذي يدخل فيه؟ ٢١
السؤال السادس عشر: ما هو النفاق وما أقسامه وصفته؟ ٢١
السؤال السابع عشر: ما هي البدعة وما أقسامها؟ ٢٢

السؤال الثامن عشر: ما حقوق المسلمين عليك؟ ٢٤
السؤال التاسع عشر: ما الواجب نحو أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٢٤
السؤال العشرون: ما قولكم في الإمامة؟ ٢٥
السؤال الحادي والعشرون: ما هو الصراط المستقيم وما صفته؟ ... ٢٥
السؤال الثاني والعشرون: ما هي الأوصاف التي يتميز بها المؤمن عن الكافر والجاحد؟ ٢٥
سؤال عن أصول الدين الكبار ٣٩
سؤال مهم يتعلق بالعبادة ملخص: إذا كانت العبادة مبنية على غاية الحب والذل. وقد يوجد من المخلوق للمخلوق حبّ وذلّ فما الفرق بين ما تعلق بالمخلوق ولم يبلغ رتبة العبادة وبين حقيقة العبادة المبنية على الأصلين المذكورين؟ ٤٩